قصة الدنيا الجديدة

تأليف : إنيد لامونت ميدوكروفت
ترجمة : صلاح حامد

ملتزم الطبع والنشر
عالم الكتب
٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٥١٤٠١
القاهرة

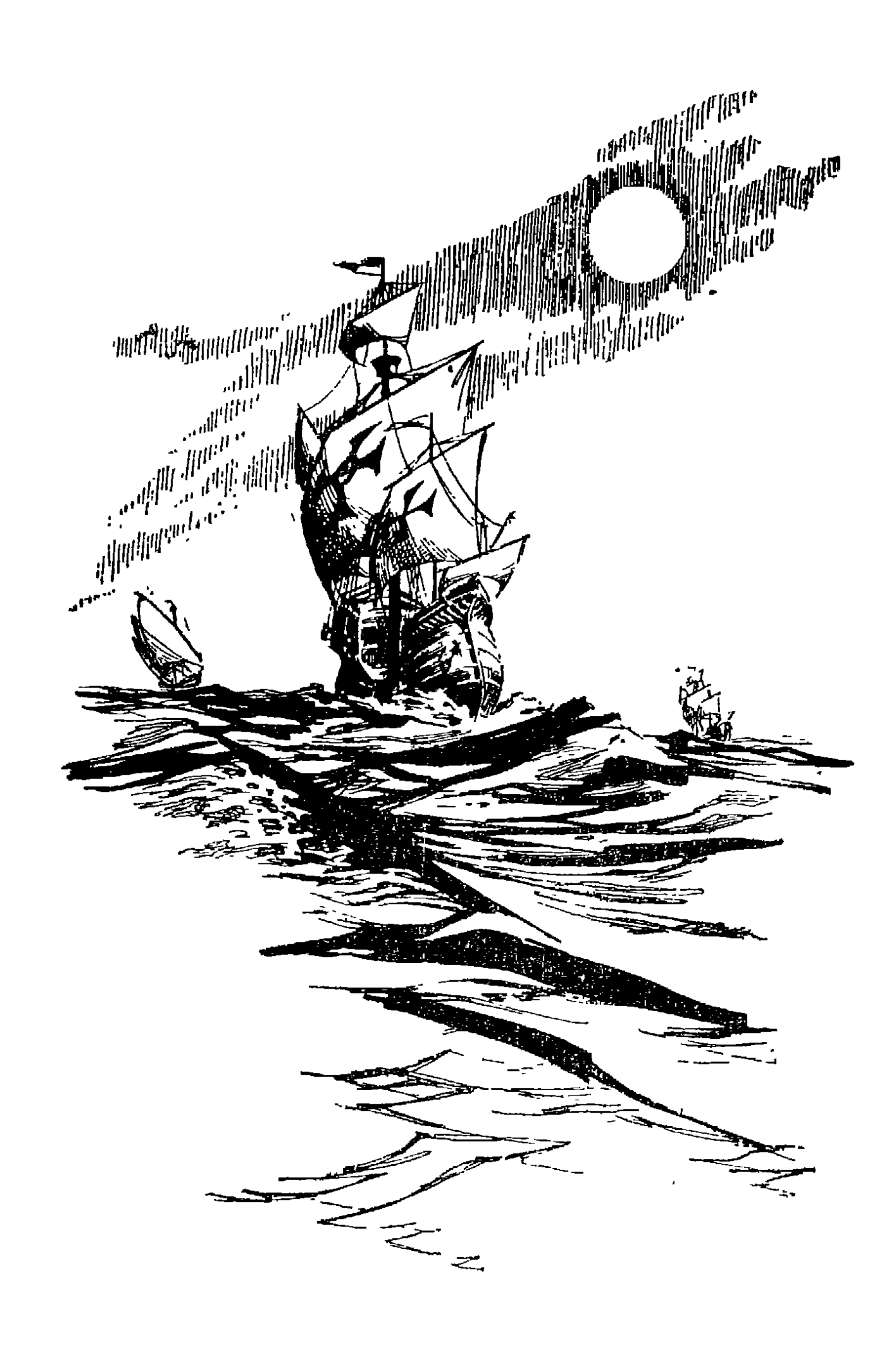


LAND OF THE FREE

Published by

THOMAS Y. CROWELL COMPANY, NEW YORK





دار الهنا للطباعة ت : ٧١٣٢٧

الفصل الأول

كلمة سحرية

(الزمن ١٤٩٢ ـ ١٦٠٧)

كان قمر شهر اكتوبر مضيئا والبحر هائجا عنيفا . وتنفخ ريح قوية أشرعة السفن الأسبانية الثلاث الصغيرة التى كانت تمخر صوب الغرب .

ورغم أن الوقت كان منتصف الليل فان رجال تلك السفن كانوا متيقظين تماما فوقفوا مستندين الى الحواجز أو صعدوا الى أماكن عالية وجعلوا يراقبون الأفق فى اهتمام وتدقيق . وكان قائدهم واقفا على جسر السفينة ناظرا أمامه فى قلق يحدق هو الآخر بعينيه .

لقدمضت عشرة آسابيع طويلة منذ غادر كريستوفر كولومبوس ورجاله أرض أسبانيا وظلوا يبحرون ، يوما بعد يوم ، فى محيط مجهول ، باحثين عن طريق قصير الى بلاد اسمها جزر الهند : بلاد غنية بالذهب والتوابل .

وكثيرا ما شعر الملاحون باليأس وأرادوا أن يعودوا . ولكن كولومبوس كان يقنعهم بمواصلة الابحار وهاهم الآن قد رأوا غصنا أخضر وعصاة غريبة الشكل محفورة عائمة على الأمواج فتأكدوا أن الأرض لا بد أن تكون قريبة . ووقف كل منهم الآن يرقب فى تلهف آملا أن يكون أول من يلمح الأرض .

ومرت ساعتان مرورا بطيئا . وفجأة سمعت صرخة مليئة بالبهجة والسعادة ، صادرة من أحد أمكنة المراقبة على السفينة .

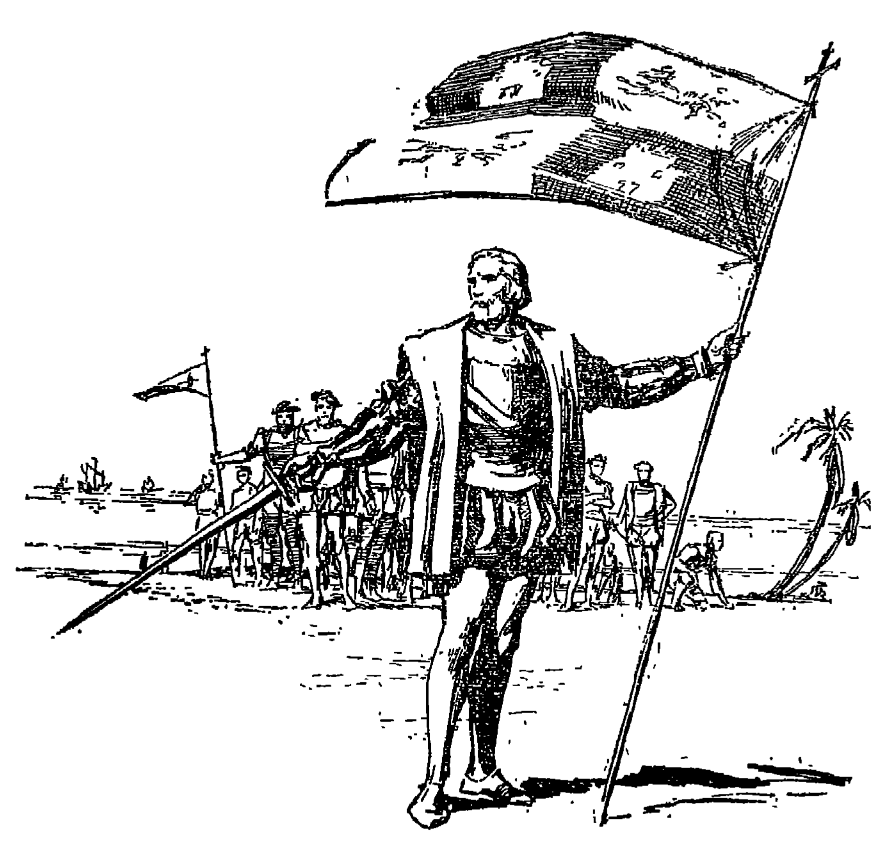
هتف الرجل عاليا : أرض ! أرض !

وكانت الأرض هناك فعلا ! هناك بعيدا ! ولكنها كانت واضحة فى ضوء القمر ! شريط طويل رفيع من الأرض !

وكانت الشمس قد طلعت منذ حين عندما هبط كولومبوس وملاحوه على شاطىء رملى أبيض : وركعوا على الأرض يشكرون الله الذى أوصلهم سالمين عبر المحيط الشاسع الملىء بالأخطار .

وفى نفس هذه اللحظات كان هناك أناس ذوو سحن غريبة فى لون النحاس مختفين فى غابة خضراء كثه يرقبونهم من طرف خفى ! وتقدم كولومبوس وغرس علم أسبانيا قويا فى الرمال . وبصوت جهورى مرتفع أعلن أن هذه الجزيرة التى وجدها انما هى من ممتلكات ملك أسبانيا وملكتها اللذين قدما السفن والأموال للقيام برحلته هذه . وأطلق كولومبوس على هذه الجزيرة اسم « سان سافادور » .

وأطلق على المواطنين المسالمين اسم « الهنود » . ولقد ظل كولومبوس معتقدا طول حياته أن هذه الجزيرة التى وجدها انما هى جزء من جزر الهند . لم يعرف كولومبوس أبدا أنه كان فى هذا اليوم الثانى عشر من أكتوبر عام ١٤٩٢ قد اكتشف عالما جديدا .



ووجد كولومبوس جزرا أخرى قبل عودته الى أسبانيا . وكان لقصصه عن هذه البلاد الجميلة التى رآها الفضل فى أن خرج رجال آخرون متلهفين على اكتشافها .

وكتب أحد هؤلاء الرجال ، واسمه أميريجو فيسبيوتشى ، وصفا لرحلاته طبع فى كتاب فى أوروبا . ثم قرأ هذا الكتاب واضع خرائط ألمانى كان يعد كتابا فى الجغرافيا . فاقترح أن يكرم أميريجو فيسبيوتشى بتسمية العالم الجديد على اسمه . ومنذ ذلك الوقت أصبح اسمه أمريكا .

أمريكا !

وسريعا ما أصبح الاسم فى أوروبا كلمة سحرية ! ويا للقصص الرائعة التى سمعوها عن العالم الجديد .

قال الرجال الذين كانوا هناك انه توجد فى أمريكا جواهر وفضة وكثير من الذهب ، وان البحار الشمالية غنية بالأسماك الكبيرة ، وان الغابات تموج بالحيوانات ذات الفراء ، وان الأرض الغنية الخصبة تنتظر من يتملكها ، وأن معظم الهنود قوم مسالمون .

وانتشرت تلك القصص فى جميع أنحاء أوروبا فاستقر عزم أناس كثيرين من مختلف بلاد أوروبا أن يذهبوا الى العالم الجديد بحثا عن الثراء .

وجاء الأسبان أولا ، باحثين عن الذهب . واستقر بعضهم فى الجزيرة التى كان قد اكتشفها كولومبوس ، والتى نسميها نحن جزر الهند الغربية وذهب آخرون الى المكسيك والى أمريكا الجنوبية . واتجه مستكشف أسبانى صوب الشمال فوقع على بلاد أطلق عليها اسم فلوريدا . وبعد ذلك بأكثر من عشرين عاما وجد مستكشف آخر نهرا عظيما يسميه الهنود المسيسبى .

وفى نفس الوقت كان صيادون من الفرنسيين يبحرون بقواربهم الصغيرة عبر المحيط الأطلسى العاصف فى كل شتاء ومن المياه الثلجية المحيطة بنيوفوندلاند يستخرجون الآلاف من الاسماك الكبيرة فيملحونها ويحملونها عائدين بها الى أوروبا لبيعها .



وكان رجلا فرنسيا ذلك الذى وجد نهرا واسعا عريض المجرى وراح يكتشفه ثم أطلق عليه اسم « سانت لورنس » واستولى عنيه هو وكل البلاد التى رآها ،باسم ملك فرنسا وسمى هـذه البلاد « كندا » .

ورحب الهنود الذين كانوا يقطنون قرب « سانت لورنس » بالرجال البيض وسريعا ما أخذ التجار الفرنسيون يشقون طريقهم خلال غابات شرقى كندا ، فيقدمون الى الهنود الحلى الرخيصة مقابل الفراء الكثيف .

طمع الانجليز أيضا فى الحصول على الفراء ، وعلى السمك والذهب أيضا . ولكن نفرا من الرجال الحكماء الأذكياء فى انجلترا فكروا فى الحصول على ما هو أهم من هـذا . رأوا أن جزيرتهم

الصغيرة التى يسكنونها بالغة الازدحام وظروف الحياة فيها صعبة والعمل قليل .

قالوا فيما بينهم « لو استطعنا أن ننشىء مستعمرة انجليزية فى مكان ما فى أمــريكا لأمكن أن يذهب اليهــا كثير من الانجليز فيستوطنون فيها ، ومن هناك يبعثون الينا بأخشاب الغابات وبجزء مما يجدون من ذهب ، ونستطيع نحن أن نبيعهم الثياب الصوفية وما يحتاجون اليه من أشياء أخرى .

وبدا المشروع رائعا . فتأسست شركة فى مدينة لندن لاعداد السفن والمؤن للبحث عن أناس لديهم الشجاعة الكافيــة لاقامة موطن فى العالم الجديد .

ومنح ملك انجلترا ، جيمس الأول ، شركة لندن الاذن بانشاء مستعمرة فى أمريكا .

وفى يوم بارد من أيام شهر ديسمبر عام ١٩٠٦ أبحرت ثلاث سفن صغيرة الى مكان سماه الانجليز ، بعــد ذلك ، فيرجينيا . وحملت هذه السفن ثلاثمائة وعشرين مسافرا كلهم من الرجال .





الفصل الثانى

بداية جريئة

(الزمن ١٦٠٧ – ١٦٢٠)

كان ذلك شهر أبريل قبل أن تلقى السفن الانجليزية مراسيها أخيرا أمام ساحل فيرجينيا . وأنزلت الزوارق الطويلة الى الماء ، واتجه فيها بعض الرجال الى الشـاطىء للاستكشاف . وهنـاك ظلوا طوال اليوم ينجولون معجبين بالأشجار الطويلة الباسـقة والطيور ذات الألوان البهيجة والبرارى المتألقة بأزهار الربيـع كأنها النجوم . وعند الغسق عادوا الى الشاطىء .

وفجأة برز الهنود ، من بين الظلال ، وكانوا قد جاءوا زاحفين نحوهم على أيديهم وركبهم كأنهم الدببة . وفى لحظة واحدة امتلأ الجو بالسهام الطائرة . وأطلق الانجليز النار من بنادقهم . وفـر الهنود الى الغابات وهم يطلقون صرخات الرعب والفزع . وبسرعة



اندفع الرجال البيض الى زوارقهم الطويلة وشرعوا يجدفون عائدين الى سفنهم .

وجرح اثنان من الرجال ولكن ذلك لم يثبط من شجاعة الآخرين وظلوا يعودون عدة أيام لاستكشاف المنطقة القريبة ، ثم أبحروا على مياه نهر جميل الصفحة الى أن بلغوا مكانا قرروا أن يقيموا به . وأطلقوا على هذا النهر اسم نهر جيمس ، وقرروا أيضا أن يطلقوا على محلتهم اسم « جيمستون » تكريما للملك .

وأفرغت السفن الثلاث شحناتها من العدد والمؤن . وسريعا ما أخذت الغابات تردد أصداء الأصوات الانجليزية والرجال يقتلعون الاشجار لبناء الأكواخ وتخزين الباقى أو لاخلاء مساحات من الأرض من أشجارها استعدادا لزراعتها .

وسارت الأمور على ما يرام فى محلة جيمستون ما يقرب من أسبوعين . ثم حدث ذات صباح جميل من شهر مايو أن هاجم الهنود هذه المحلة ــ جاءت أعداد ضخمة منهم وقد طلوا أجسادهم بطلاء الحرب . وقاتل أهل المستعمرة بشجاعة وردوا عنهم معظم الهنود الا أن بعضهم ظل مختفيا فى الغابات أسابيع طوالا يترصدون من يخرج لصيد الحيوان أو الأسماك .

واشتدت الحاجة الى الغذاء ، اذ أخذت المؤن التى جلبوها من انجلترا تنقص وتنفد . وأصبحت الحرارة خانقة كما أن مياه النهر لم تكن صالحة للشرب .

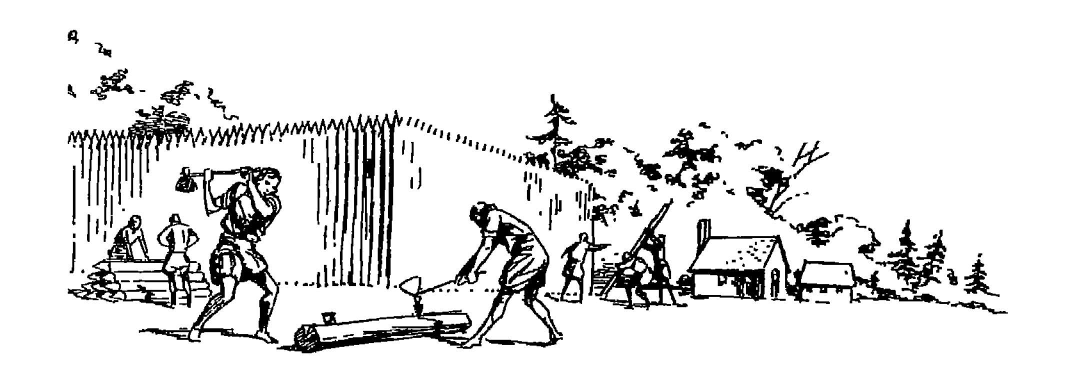
وأخذ رجال يموتون ، أسبوعا بعد أسبوع ، بتأثير الجـوع أو الحمى . وعندما جاء موسم الامطار لم يكن باقيا على قيـد الحياة من المستوطنين الانجليز سوى ثمانية وثلاثين ، وكان يمكن أن يموت هؤلاء أيضا لولا قبطان شاب قوى اسمه جون سميث .

كان الكابتن سميث رجلا شجاعا يعرف كيف يتعامل مع أنواع كثيرةمن الناس ، وكان قد قام باستكشاف المنطقة حتىمنبع النهر واتخذ له أصـدقاء من بعض الهنود . وأصبح الآن قادرا على اقناعهم بأن يجلبوا الى المحلة القمح ولحم الغزال مقابل الحلى . وهكذا حصـل المستوطنون على الطعام وأصبحوا من جـديد أقوياء

وعندئذ كانت تلك السفن الثلاث التى أبحرت الى انجلترا قد عادت الآن تحمل مؤنا ورجالا آخرين . الا أن هـؤلاء الرجال لم يجيئوا لغرض المعاونة فىتشييد جيمستون وانما جاءوا ينشدون المغامرة والذهب . وكان معظمهم يعتبرون أنفسهم من « السادة » ورفضوا القيام بأى عمل خشن .

فقال الكابتن سميث الذى أصبح الآن قائد المستعمرة «حسن جدا اذن ، ان الذى لن يعمل لن يأكل » .

وسرعان ما راح القادمون الجدد يعملون فى اقامة الأكواخ واصلاح المخازن وزراعة القمح واعداد الأخشاب لارسالها الى انجلترا .



ونمت محلة جيمستون شيئا فشيئا . ووقعت فى مناوشات مع الهنود مرة أخرى ، كما مرت بهم فترة مجاعة قاسية . ولكن المستعمرين لم ييأسوا . ومرت الشهور ثم جاء عدد من المستوطنين الجدد وقد حملوا معهم الأبقار والخنازير والماعز والدجاج وابتنى البعض أكواخا فى جيمستون وأنشأ الآخرون محلات صغيرة أخرى غير بعيد منها .

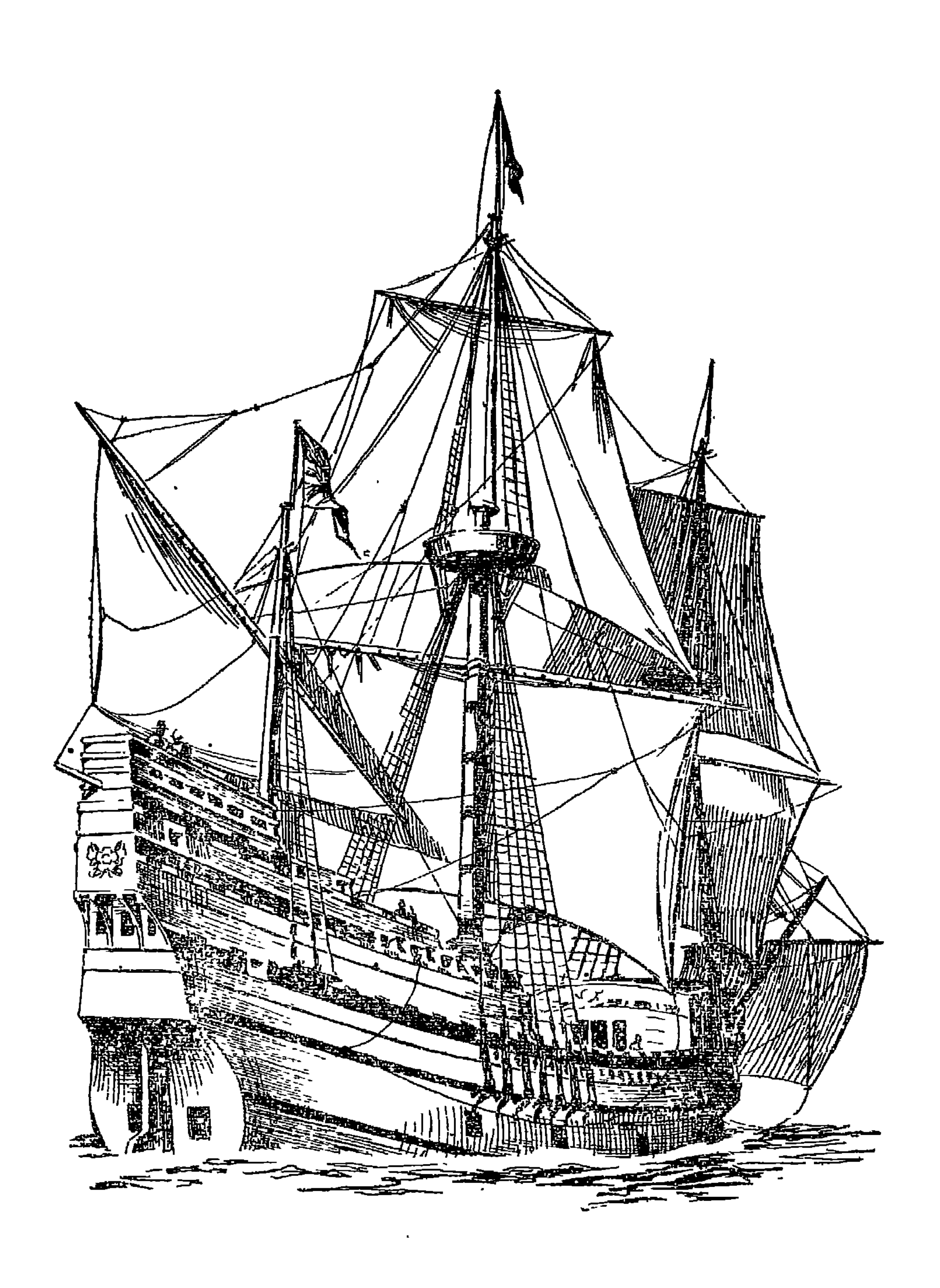
لكن المستعمرين لم يعثروا على ذهب فى فيرجينيا الا أنهم تعلموا كيف يزرعون التبغ فى تربة فيرجينيا الخصبة ثم يعبئونه ويبعثون به الى انجلترا حيث كان يباع بأسعار مرتفعة .



ولم تمض أعوام قليلة حتى قامت مساكن جميلة كثيرة على شاطىء نهر جيمس .

وكان لفيرجينيا حاكم يرسله ملك انجلترا . ولكن كان لها أيضا مجلس منتخب من كل محلة يجتمع رجاله فى كنيسة خشبية فيضعون القوانين للمستعمرة ويحددون لها الضرائب .

وعندما بلغت جيمستون ثلاثة عشر عاما من عمرها كان فيها أكثر من ألف انجليزى ممن يعيشون فى أمريكا . وكان هناك مستعمرون آخرون فى طريقهم على ظهر سفينة صغيرة اسمها « ميفلاور » الى العالم الجديد .



الفصل الثالث

انجلترا جديدة فى العالم الجديد

(الزمن ١٦٢٠ – ١٦٦٤)

أخذت السفينة « ميفلاور » تتأرجح على سطح المحيط الموحش تدفعها ريح قوية من الغرب . وجلست النساء فى القمرات المزدحمة فى باطن السفينة يهدئن صغارهن ويسكتن صراخهم بينما أخذ الرجال يتحدثون بما لديهم من خطط ومشروعات للحياة فى العالم الجديد .

وكان هؤلاء المستوطنون قد غادروا انجلترا لأن الملك رفض أن يسمح لهم بتأدية شعائر دينهم وفق عقيدتهم الخاصة . ونحن نسمى هؤلاء الناس « الحجاج »

وذات صباح عنيف من شهر نوفمبر لمح الحجاج مرأى الأرض وسرعان ما رست « ميفلاور » على ساحل « كيب كود » ونزل بعض الرجال الى الشاطىء يتقدمهم الكابتن « مايلزستانديش » يبحثون عن مكان صالح لاقامة محلتهم . وبعد عدة أيام وجدوا مرفأ آمنا ، وشاطئا رمليا ، ومساحة مكشوفة ذات أشجار عالية وغدران نقية .

وجلبوا الى الشاطىء فئوسهم ومعاولهم ومناشيرهم وشرعوا يبنون الأكواخ . وظلوا أثناء عملهم يراقبون ظهور الهنود . الا أن مرضا خطيرا كان قد تفشى فى هذه المنطقة فقتل كثيرين من السكان



الأصليين جعلهم لا يفكرون فى العودة اليها مما وفر على الحجاج متاعبهم .

وفى أسابيع قليلة أقيمت سبعة منازل ودار عامة مشتركة . وعند ذلك غادرت النساء والأطفال السفينة وجاءوا ليعيشوا على البر .

وقرب نهاية شهر ديسمبر غمرت الثلوج هذه القرية الصغيرة وكان اسمها « بلايموث » وعانى الحجاج شتاء قاسيا ذلك العام .

كانت الريح الثلجية تصفر فى شقوق منازلهم الخشبية البسيطة

ولم يكن لديهم مايكفيهم من طعام سوى المحار فمات الكثيرون منهم وقبل أن يبلغ الشتاء نهايته كان قد مات أكثر من نصـــف الحجاج .

وفى النهاية ذابت الثلوج وبدأت البراعم فى التفتح .

وعندئذ ، وذات صباح فى شهر مارس رأى الحجاج المشدوهون هنديا طويل القامة يسير فى شارع قريتهم .

وصاح الهندى بصوت مرتفع : « مرحبا بكم أيها الانجليز ، مرحبا ! »

وقال الهندى للحجاج الذين التفوا من حوله ان اســـمه « ساموسيت » وانه تعلم بضع كلمات انجليزية قليلة من الصيادين الذين كانوا يرسون بقواربهم أحيانا على الشاطىء وأضاف الى ذلك أنه يحب الانجليز وأنه سوف يجلب معه الى القرية أصدقاء آخرين من الهنود .

ولم يمض وقت طويل حتى جاءوا . وقرر أحد هؤلاء ،واسمه « سكوانتو » ، أن يبقى مع الحجاج . وعلمهم هذا الرجل كيف يزرعون القمح الهندى ، وعلم الصبيان كيف ينصـــبون الفخاخ للارانب وكيف يصطادون الثعابين النهرية . وجاء الى بلايموث زعيم هندى آخر ، هو الرئيس «ماسا سويت» ومعه محاربوه بوجوههم الملونة بالطلاء وتعهد بأن يظل هو ورجاله أصدقاء للرجا ل البيض.

كانت الايام تولى بسرعة والحجاج يعملون بجد طوال الصيف



فلما جاء موسم سقوط الأمطار كان فى القرية مخزن جديد ممتلئ بالقمح والفول . وكانت هناك أكوام كبيرة من الأخشاب مهيأة للشحن الى انجلترا وأحكمت أبنية المنازل ومنافذها للوقاية من الشتاء القادم .

وقال الرجل الطيب ويليام براد فور الذى كان يحكم المستعمرة الصغيرة « اننا جميعا بخير وعندنا الكثير لنشكر عليه . فلنقم عيدا

للحصاد مثل تلك الاعياد التى كنا نقيمها فى انجلترا ولنسعد معا بكل الطيبات ألتى وهبها الله لنا .

وهكذا ذبح الناس الديكة والبط والأوز البرى ودعى ماساسويت ورجاله الهنود الى الاحتفال فجلبوا معهم المزيد من الديكة فضلا عن خمسة غزلان سمينة . وظل الحجاج والهنود يلعبون الألعاب ويحتفلون بالعيد معا ثلاثة أيام كاملة . وكان هذا أول عيد من أعياد الشكر فى أمريكا .

وبعد انتهاء الأعياد بوقت قصير وصلت من انجلترا سفينة أخرى تحمل عددا من الحجاج قاصدين « بلايموث » ، وبعد سنين قليلة جاء أسطول من السفن يحمل ما يقرب من ألف من الانجليز ، من الرجال والنساء والاطفال يريدون أن يتخذوا لهم موطنا جديدا . ورست هذه السفن شمالى « بلايموث » على شواطىء خليج « ماساشوستس » . ولم تمض فترة طويلة حتى أقاموا قرية بوسطن وعده قرى أصغر منها على مقربة من بوسطن .

وأطلق هؤلاء الناس على أنفسهم اسم «البروتستانت» وكانوا هم أيضا قد غادروا فى سبيل الحرية للتعبد حسب طريقتهم الخاصة .

وحدد البروتستانت طرقا خاصة فى السلوك والملبس والعقيدة وطرق الصلاة وكانوا يوقعون عقابا صارما على من يخالف ذلك .

فألقى قسيس شاب شجاع اسمه « روجر ويليامز » فى قرية

« سالم » هذه ، خطبة ضد هذه القوانين الصارمة فغضب عليه الزعماء البروتستانت وطردوه من « ماساشوستس » .

وكان الوقت شتاء والجو قارسا حين اضطر الى الهرب فى جوف الغابة ولكن الهنود الاصدقاء وفروا له الطعام والمأوى . وفى الربيع اشترى منهم أرضا وابتنى كوخا على شاطىء خليج «ناراجانست» وسرعان مالحق به أصدقاء له من «ماساشوستس» وعاونوه على انشاء مستعمرة «رود آيلاند» ، وأصبحت مستعمرة يستطيع فيها أى شخص أن يختار دينه وأن يشترك فى وضع القوانين .

وكان هناك كثيرون آخرون من أبناء مستعمرة «ماساشوستس» يرون أن زعماء البروتستانت مبالغون فى شدتهم وصرامتهم ولكن الانجليز ظلوا يتوافدون عليها رغم ذلك . لقد كانوا ينشئون انجلترا جديدة فى أمريكا وكانت هذه تنمو بسرعة .

وكذلك كانت فيرجينيا والمستعمرة الجديدة « ماريلاند » الواقعة الى الجنوب منها ، ولكن كانت هناك أمور غريبة تدور فى المنطقة الواقعة بين هذه المستعمرات الجنوبية و « نيوانجلاند » .. أمور أقلقت المستعمرين الانجليز وملكهم اقلاقا عظيما .

●



الفصل الرابع

ثم أصبح هناك ثلاثة عشر

(الزمن ١٧٣٢ — ١٧٥٠)

كان الهولنديون يستقرون فى المنطقة الواقعة بين المستعمرات الجنوبية ونيوانجلاند . وعندما جاء العام ١٦٦٤ كانت هناك مزارع هولندية ضخمة ممتدة على جانبى نهر هدسون ومدن صغيرة محصنة ، فى أعماق الغابات ، يتبادل فيها التجار الهولنديون البنادق والبارود مع الهنود على الفراء . قامت مدينة هولندية تعج بالحركة اسمها «نيوأمستردام» على جزيرة كان يسميها الهنود «مانهاتان».

ولم يكن الانجليز يحبون رؤية المحلة الهولندية تقوم على الأرض التى كانوا يريدونها لمستعمراتهم . لذلك قرر الملك الانجليزى أن يضع حدا لهذا الامر .

وذات يوم مشرق من أيام شهر سبتمبر دخلت أربع سفن حربية انجليزية خليج « نيوامستردام » وألقت مراسيها . ثم اتجه قارب صغير نحو البر حاملا رسالة من قائد الاسطول الى الحاكم الهولندى « بيتر ستايفسنت » .

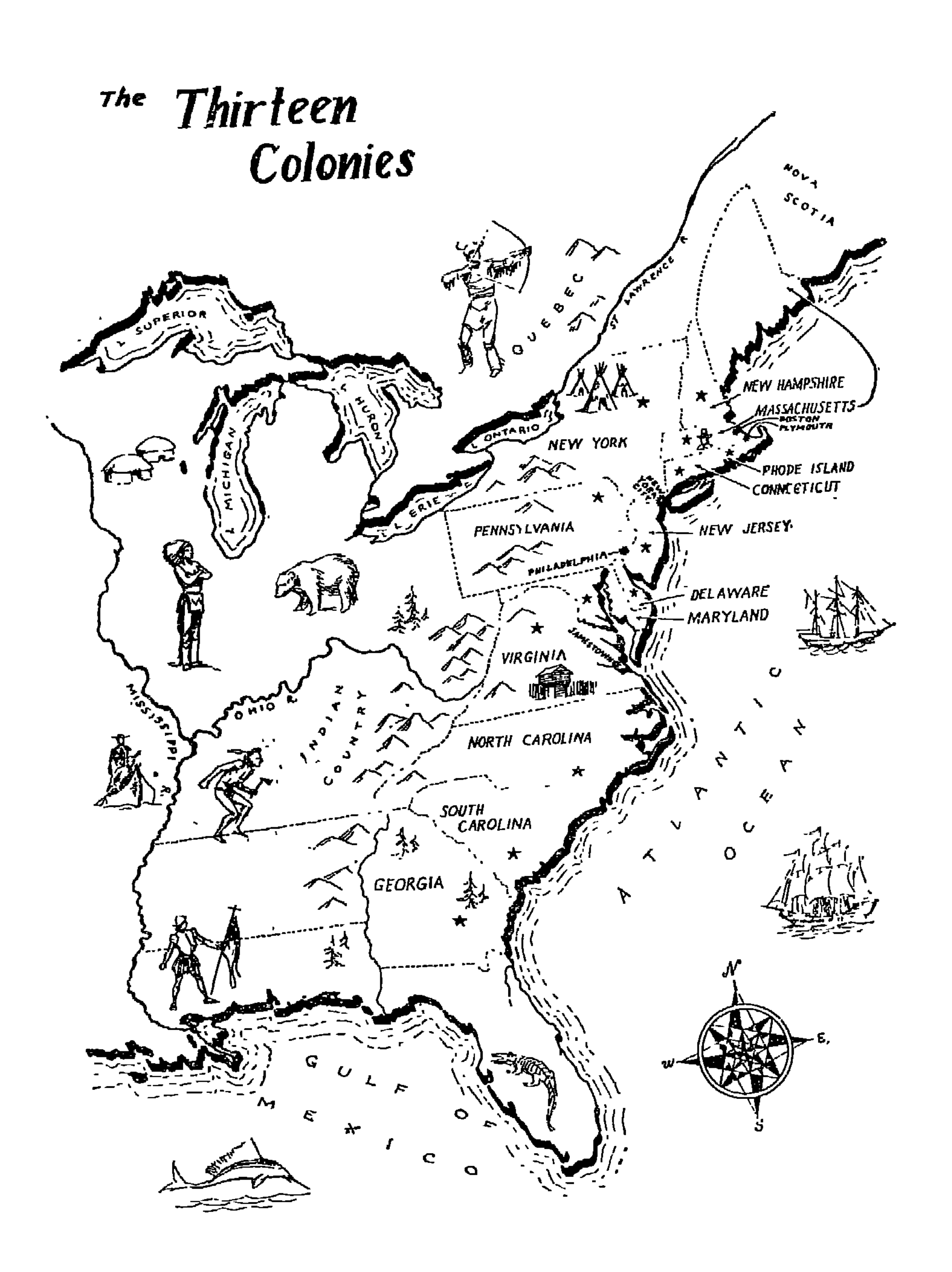
وقالت الرسالة للحاكم « اننا نطالب بملكية الأرض التى أقمتم عليها وقد جئنا لنأخذها . استسلم ، دون حرب ، وسيكون لمراطنيك أن يحتفظوا بممتلكاتهم ويشتركوا فى وضع قوانينهم الخاصة بهم . أو حارب فتدمر مدينة « نيو أمستردام » .

وكان « بيتر ستايفسنت » جنديا عجوزا شجاعا ذا ساق من الخشب ومزق الرجل الرسالة اربا وهو غاضب . وصرخ قائلا انه يفضل أن يموت على أن يسلم للانجليز . ولكنه عندما أمر الناس أن يستعدوا للحرب رفضوا ذلك .

لم يكونوا يريدون أن تدمر مدينتهم كما أنهم لم يكونوا يحبون «ستايفسنت» اذ كان يحكمهم منذ سنوات حكما صارما . ولم يكن «بيترستايفسنت» يستطيع أن يحارب الانجليز وحده . وهكذا استسلمت نيو أمستردام والمستعمرة الهولندية التى كان اسمها « نيونيذرلاندز » . وعندئذ غير اسم المستعمرة والمدينة فأصبح « نيويورك » .

وفى أعوام قليلة أصبح الانجليز المستوطنون فى نيويورك أكثر ممن كانوا فيها من الهولنديين . وكانت أسر من انجلترا تقيم قرى صغيرة فى مستعمرات «نيوجيرسى وديلاوير» . وكان المستوطنون الانجليز فى الجنوب من هذه المنطقة يقومون باقتلاع الأشجار وزراعة الحبوب فى مستعمرتى كارولينا .




The Thirteen Colonies
NOVA SCOTIA
QUEBEC
ST LAWRENCE R.
L. SUPERIOR
L. MICHIGAN
L. HURON
L. ONTARIO
L. ERIE
NEW YORK
NEW HAMPSHIRE
MASSACHUSETTS
BOSTON
PLYMOUTH
RHODE ISLAND
CONNECTICUT
NEW JERSEY
PENNSYLVANIA
PHILADELPHIA
DELAWARE
MARYLAND
JAMESTOWN
VIRGINIA
OHIO R.
INDIAN COUNTRY
MISSISSIPPI R.
NORTH CAROLINA
SOUTH CAROLINA
GEORGIA
ATLANTIC OCEAN
GULF OF MEXICO
N
E
W
S

وكان عدة مئات من الرجال والنساء ممن نسميهم «الكويكرز» يستعدون للابحار الى أمريكا . وكان زعيمهم رجلا حكيما كريما اسمه « وليامز » .

وكان الكويكرز ، مثل الحجاج ، يلقون سوء المعاملة من الانجليز بسبب دياناتهم . فقرر « بن » أن ينشىء مستعمرة يستطيعون فيها أن يتعبدوا على طريقتهم .

وفى يوم تساقط فيه الثلج فى عام ١٦٨٢ أقلع اتباع « بن » صاعدين نهر « ديلاوير » . ورسوا عند مكان اختاره « بن » وبدأوا على الفور يبتنون المساكن .

وكان الطقس لطيفا والتربة خصبة « والكويكرز » أهل عمل وحرص . وسرعان ما أصبحت فيلادلفيا ، وهى أولى محلاتهم ، بلدة صغيرة أنيقة ذات منازل مبنية بالطوب الأحمر تحيط بها الحدائق والمساحات المغطاة بالحشائش .

وسرعان ماتم انشاء مستعمرة «بن» التى سميت «بنسيلفانيا» . وبعد خمسين عاما من تأسيسها بدأ الرجال فى انشاء محلة أخرى اسمها « جورجيا » . ثم أصبحت هناك ثلاثة عشر مستعمرة انجليزية فى أمريكا الشمالية .

ومع أن معظم المستعمرين كانوا من انجلترا ، فان المئات منهم قد جاءوا أيضا من بلاد أخرى فى أوربا . ولكنهم كلهم جاءوا بارادتهم ورغبتهم .

ومع هذا فقد كان هناك أناس آخرون أجبروا على المجىء ضد ارادتهم . كانوا هؤلاء زنوجا خطفوا من أوطانهم فى أفريقيا وجىء بهم ليباعوا عبيدا ، بيع بعضهم فى المستعمرات الشمالية ، وبيع معظمهم فى الجنوب حيث ساعدت أعمالهم ذلك الجزء من البلاد على أن يصبح غنيا وقويا .



الفصل الخامس

أنباء سيئة من وراء الجبال

(الزمن ١٦٦٤ ـ ١٧٣٢)

كان فى الجنوب كثير من الحقول الكبيرة تسمى المزارع . وكان الدخان يزرع فى بعض منها ، والأرز والقمح الهندى فى بعضها الاخر . وكانت الحقول واسعة تحتاج الى الاف من العمال لزراعة المحاصيل وجنيها .

وبما أن الزنوج معتادون على الجو الحار فانهم كانوا يستطيعون أن يتقنوا العمل تحت شمس الصيف المحرقة . فكان أصحاب المزارع الأثرياء يقتنون أعدادا كبيرة من العبيد لرعاية حقولهم وخدمة منازلهم الجميلة .

وتمكن كثير من أصحاب المزارع أن يعيشوا عيشة رغدة بمساعدة بضع عشرات من العبيد . فكانوا يسرون عن أنفسهم بصيد الثعالب وسباق الخيل ولعب الورق والرقص . فاذا رغبوا هم أو أسرهم فى أشياء لا يمكن صنعها أو زرعها فى مزارعهم ، فانهم كانوا يستطيعون أن يطلبوا الى المتاجر فى لندن أن تبعث بها اليهم بطريق البحر .

وعندما كان جورج وشنطن صبيا كان والده يملك مزرعة للتبغ على ضفة نهر الراياهانوك فى فيرجينيا . وكانت هناك سفينة

تبحر صاعدة النهر ، ثلاث مرات فى العام ، وكانت ترسو عند مرساة مزارعهم .

وكان هذا دائما وقتا ممتعا لجورج ، فكان يراقب البحارة بشغف وهم يفرغون حمولة السفينة من صناديق الشاى ،والسكر والعدد ، والكتب ، والثياب الجميلة ، والأدوية ، والتوابل ، واللعب . وكان عبيد مستر وشنطن عندئذ يدفعون بحزم كبيرةمن الدخان الى ظهر السفينة مقابل حمولة البضائع التى أفرغت . وعندما ينتهى الشحن تقلع السفينة قاصدة مزارع أخرى .

وكانت هذه المزارع ، صغيرة أو كبيرة ، بعيدة كل منها عن الأخرى فى العادة . وكانت الطرق جد رديئة وكان الناس يسافرون كثيرا بطريق الماء . وكان الذهاب الى الكنيسة أو زيارة الجيران بعربات السفر أو على ظهور الجياد يستغرق ساعات عديدة . ولم يكن كذلك فى المستعمرات الشمالية .

ففى نيوانجلاند ، حيث الحقول صخرية ، فقد كانت المزارع صغيرة والناس يعيشون متلاصقين فى قرى أو مدن صغيرة .وكان كثير منهم يعملون فى الزراعة . وأصبح بعضهم صيادين وكانوا يبحرون التماسا للاسماك المختلفة . وذهب اخرون أميالا فىالبحر يصطادون الحيتان اذ كانوا يحتاجون الى زيتها للمصابيحالصغيرة والكبيرة . وكان بعضهم يبنى السفن .

وكان الصبيان يعملون مع آبائهم أو يذهبون الى المدارس

القروية الصغيرة . ولم يكن يستطيع أن يذهب الى الكليات غير عدد قليل جدا ، ونادرا ما كانت البنات تذهب الى المدرسة وانما كن يتعلمن الطهى وصنع الشموع والصابون والنسج والغــزل والحياكة .

وكان معظم الناس يعملون بجد أثنـــاء الاسبوع وينفقون ساعات كثيرة من يوم الأحد فى الكنيسة . ولكنهم كانوا يلهون أيضا فى حفلات الألعاب «واحتفالات الجنى» . وفى أيام التدريب عند ذلك كانت الأسر تأتى من أميال بعيـدة لتشـاهد الرجال تتدربون فى ساحة القرية . وعندما ينتهى التدريب تقام مباريات الرماية وتمنح فيها جوائز للفائزين ويقدم عشاء طيب للجميع .

كانت بوسطن أكبر بلدة فى « نيوانجلاند » وكانت مكانا يعج بالنشاط فيما عدا أوقات الطقس الردىء . وكانت تدخل خليج بوسطن وتخرج منها كل يوم تقريبا سفن بيضاء كبيرة آتية من أوروبا أو جزر الهند الغربية . وكانت العشرات من زوارق‌الصيد الصغيرة تنتشر على صفحة الماء ، وكثيرا ما كانت تشد الى‌المراسى الطويلة سفن صغيرة تحمل البضائع والمسافرين من البلاد الأخرى المنتشرة على طول الساحل .

وفى منزل صغير قرب واحد من هذين المراسى كان يســكن صبى متأجج بالحياة اسمه بول ريفير . وعندما لم يكن بول‌يذهب الى المدرسة ، أو فى محل أبيه حيث يتعلم مهنة صياغة الفضة فانه



كان ينفق الوقت فى التجول فى شوارع بوسطن . وكانت معظم هذه الشوارع ضيقة متعرجة مليئة بالضجة تتجاوز فيها المنازل والمتاجر والحانات .

وكانت الخنازير تتجمع حول النقابات فى الأزقة ، والعربات تسير بضجيجها على الطرق المرصوفة بالأحجار ، وباعة اللبن والسمك والوقود ينادون على سلعهم ، ومنادى المدينة يدق جرسه ويعلن أنباءه عن خيل مسروقة أو أطفال مفقودين . وفى الليل يشق

حارس البلدة طريقه فى الظلام حاملا مصباحه يعلن مرور الساعات وحالات الجو .

وعدة مرات كل شهر يخرج من بوسطن حامل البريد بالخطابات والطرود ، فى عربة سفر عتيقة ازدحم بها المسافرون .

كانت الطرق أفضل قليلا فى الشمال منها فى الجنوب . كان الانسان يستطيع ان يسافر على ظهر جواد من بوسطن الى نيويورك فى عشرة أو اثنتى عشر يوما فقط ، ومن هناك الى فيلادلفيا فى أقل من أسبوع .

وكانت بلدة «الكويكرز» تلك تنمو فى حجمها كل يوم وتصبح أكثر ثراء أيضا وكان يرجع بعض السبب فى هذا الى أن بنجامين فرانكلين كان يعيش هناك .

كان قد ولد فى بوسطن ولكنه فر منها عندما كان فى السابعة عشر من عمره بحثا عن المستقبل . وكان الان يملك مطبعة فى فيلادلفيا . وكان يصدر مجلة أسبوعية وتقويما اسمه « پور رتشارد » كان مليئا بالأقوال الحكيمة الفكهة مثل قوله « ان ثلاثة من الناس يستطيعون أن يكتموا سرا اذا مات منهم اثنان » .

لم يكن المستر فرانكلين كاتبا ومطبعيا فحسب . وانما كان كذلك وكيل مكتب البريد فى فيلادلفيا . ومع ذلك فقد وجد الوقت الكافى ليبدأ أول فرقة للمطافىء فى البلدة . كان قد أقنع

الناس بأن يستأجروا حراسا أفضل ممن كان لديهم حتى تصبح شوارع فيلادلفيا أكثر أمنا فى الليل . كما كان قد أنشأ أيضا أول مكتبة عامة فى المستعمرات .

وبالاضافة الى هذا كله كان قد اخترع موقدا يعطى حرارة أفضل من حرارة النار الموقدة فى الخلاء . وكان قد أسس أكاديمية رائعة للصبيان . وكان قد جمع المال لينشىء مستشفى للمرضى والمجـــانين .

وكان قد اكتشف أن البرق عبارة عن كهرباء واخترع مانعة للصواعق لحماية المنازل والسفن .

فلا عجب أن أحبه أهل فيلادلفيا ! والحق ، أن الناس فى كل المستعمرات الثـــلاث عشرة ، كانوا عندما يسمعون عن بنجامين فرانكلين ، يقهقهون للاقوال التى ينشرها فى « پور رتشارد » . وفى كل عام كان يزداد عدد الذين يضحكون لهذه الأقوال .

وعندما جاء عام ١٧٥٢ كان قد أصبح فى أمريكا مليون من المستعمرين وكانت السفن تصل فى كل شهر حاملة مستوطنين جددا . وقرب البحر ، أخذت تندر الأرض الطيبة الرخيصة ، فبدأ الناس يتجهون غربا نحـــو جبال الألليجانى . بل أن بعض النـــاس فى « فيرجينيا » تحدثوا عن الاقامة فى منطقة اوهايو البرية فيما وراء جبال الألليجانى . ولكن الصيادين والتجار الذين كانوا قد عبروا الجبال جاءوا فى هذا الوقت بأخبار سيئة .

قالوا ان هناك جنودا فرنسيين فى الغابات قرب نهر الاوهيو سلبوهم فراءهم وجيادهم ، وان الجنود كانوا يؤلبون الهنـود على الانجليز ، وانهم أعلنوا أن بلاد الأوهيو ملك فرنسا ، وهددوا بطرد أى مستعمر انجليزى يحاول أن يقيم هناك .

لماذا تغلغل الجنود الفرنسيون فى برارى الأوهيو ؟ وأى حق لهم فى تهديد المقيمين الانجليز ؟ كانت هذه هى الاسئلة التى تشغل كثيرين من أهل مستعمرة فيرجينيا . وكانت لديهم أسباب وجيهة لهذا القلق .

●



الفصل السادس

متاعب مع الفرنسيين

(الزمن ١٧٥٢ – ١٧٦٥)

ومع أن معظم الانجليز لم يكونوا يعرفون ، فقد كان هناك كثير من الفرنسيين يستوطنون البلاد الواقعة فيما وراء جبال الألليجانى منذ وقت بعيد . فقد جذف مكتشفون فرنسيون شجعان بقواربهم الطويلة من نهر سانت لورنس عبر البحيرات العظيمة هابطين مع مياه نهر المسيسبى .

وقام جنود فرنسيون بتشييد مواقع محصنة على طول الأنهار والبحيرات وتصادق تجار الفراء الفرنسيون مع كثير من الهنود وأقامت الاسر الفرنسية قرى عدة فى كندا ومدينتين كبيرتين سميتا كويبك وموتتريال .

ولم تكن فرنسا تطالب الان بكندا فحسب وانما كانت تطالب أيضا بمعظم الأرض الواقعة غربى جبال الألليجانى .

فلما سمع حاكم فيرجينيا ان الفرنسيين يهاجمون الصيادين والتجار الانجليز أصر على أن بلاد الأوهيو ملك انجلترا ، ثم أرسل خطابا الى ما وراء البحر ، ليطلب الى ملك انجلترا أن يخبره عما يجب أن يفعله .

وسرعان ما رسى فى فيرجينيا جيش كبير من الجنود الانجليز وصدرت الأوامر الى ذوى المعاطف الحمراء بالاستيلاء على قلعة

فرنسية قائمة عند المكان الذى يلتقى فيه نهران معا ليكونا نهرا واحدا هو نهر الأوهايو . وبعدما يستولون على قلعة «دبكيسن».
فان عليهم أن يطردوا جميع الفرنسيين من برارى الأوهايو .

وذات صباح مشرق من شهر مايو دقت الطبول ونفخت المزامير وخرج ذوو الحلل الحمراء على أنغامها متجهين الى جبال الألليجينى وسار معهم عدة مئات من جنود المستعمرات . وكان يقود الجيش قائد شجاع اسمه برادوك . وكان أحد أركان حربه كولونيل شاب اسمه وشنطن .

كان جورج وشنطن قد قام قبل ذلك برحلات فى منطقة الاوهايو وعرف الكثير عن الهنود . وكان يعرف أن هناك كثيرين من الهنود المحاربين مع الفرنسيين فى قلعة دبكيسن ، وحاول أن يحذر الجنرال برادوك من الطريقة التى سوف يقاتل بها هؤلاء الهنود ، ولكن الجنرال لم يزد على أن ابتسم فى أدب لأنه كان واثقا أنه لا يمكن لأى من هؤلاء المتوحشين الذين يطلون أجسامهم بالألوان الغريبة أن ينتصروا على الجنود البريطانيين المدربين .

وظل جيشه الكبير ، اسبوعا بعد اسبوع ، يشق طريقه عبر الجبال ، وكان المكلفون بشق الطرق يسبقون الجيش ليقتلعوا الأشجار من الطرق وينظفوها من الأعشاب . وكانت عربات التموين تسير وراء الجيش . وكان يوما حارا من أيام شهر يوليو حين اقترب الجيش أخيرا من قلعة دبكيسن .

وسار الجنود الانجليز ، هادئين ، يخترقون الغابات صوب القلعة ، فى حللهم القرمزية وقد رفعوا بنادقهم وأسلحتها المدببة مستعدين . ولم يكن من صوت سوى نقيق الطيور على الأشجار المرتفعة . وحث ذوو الحلل الحمراء سيرهم .

وفجأة دوت الغـابة بصرخات حرب منكرة قبيحة . وصرخ جنود برادوك واسـتلقوا على الارض اذ انهمر عليهم وابل من الرصاص كالامطار من فوق الأشجار ومن تحت الأعشاب . وفى شجاعة ظل هؤلاء الذين لم يقتلوا يطلقون النار على عدو لم يكونوا يستطيعون رؤيته ، ثم أخـذهم الفزع فانفضوا عن الصـفوف وهربوا .

وحاول الجنرال برادوك ببسالة أن يوقفهم . وعدا خلفهم جورج وشنطن هاتفا بهم أن يعودوا ليقاتلوا ، وخر جواده قتيلا فأمسك بسرعة جوادا آخر لم يكن على ظهره أحد وامتطاه والطلقات تصفر حول أذنيه وسقط الجواد الثانى ومات . فامتطى جوادا ثالثـا وأسرع وراء الرجال يحاول أن يجمع صفوفهم ولكن لم يكن هناك شىء يمكن أن يقف فى وجه هروبهم وفزعهم .

وقتل الكثيرون قبل أن ينتهى اليوم . وكانت اصابات الجنرال برادوك من السوء بحيث مات بعد وقت قصير . وعندئذ تولى الكولونيل الشاب وشنطن قيادة الجيش . وبعدما دفن المـوتى وحمل الجرحى على المحفات قاد جيشه المهزوم وعاد به حزينا الى فيرجينيا .



وحمل العداءون الهنود نبأ هزيمة الانجليز فى أرجاء بلاد الأوهايو وقرر كثيرون من المحاربين الهنود الانضمام الى الفرنسيين فى حرب ضد الانجليز وأخذوا يتجهون فى جحافل عبر الجبال ويهاجمون المحلات الانجليزية ويحرقون الأكواخ والمحاصيل ، ويسرقون الخيول ، ويقتلون الرجال والنساء والأطفال .

وفى هذه الأثناء وكانت الحرب الفرنسية والهندية قد امتدت الى الشمال ترك المزارعون وأصحاب الحوانيت أعمالهم ، وفى ماساشوستس ونيويورك ومستعمرات أخرى ، انضموا الى الجيش .

وظلت أحوال أهل المستعمرات تسوء قرابة ثلاثة أعوام . وعند ذلك أسرعت انجلترا ضباطا وجنودا من وراء المحيط لمساعدتهم . وبمرور الأشهر اضطر الفرنسيون الى تسليم قلاعهم الواحدة بعد الأخرى .

وأخيرا ، وفى ليلة داكنة من شهر سبتمبر عام ١٧٥٩ أخذ مئات من الجنود الانجليز يبحرون فى صمت صاعدين نهر سانت لورنس صوب مدينة كويبك الفرنسية وعندما طلع ضوء النهار فاجأوا الجيش الفرنسى وبعد قتال دام أربعة أيام استولوا على كويبك ، ثم على مونتريال ، وبعدها انتهت الحرب الفرنسية والهندية .

وأصبحت كندا الآن ، هى وكل الاقاليم المترامية نحو الغرب حتى نهر المسيسبى ، أصبحت كلها تابعة للانجليز . وما لبث أن

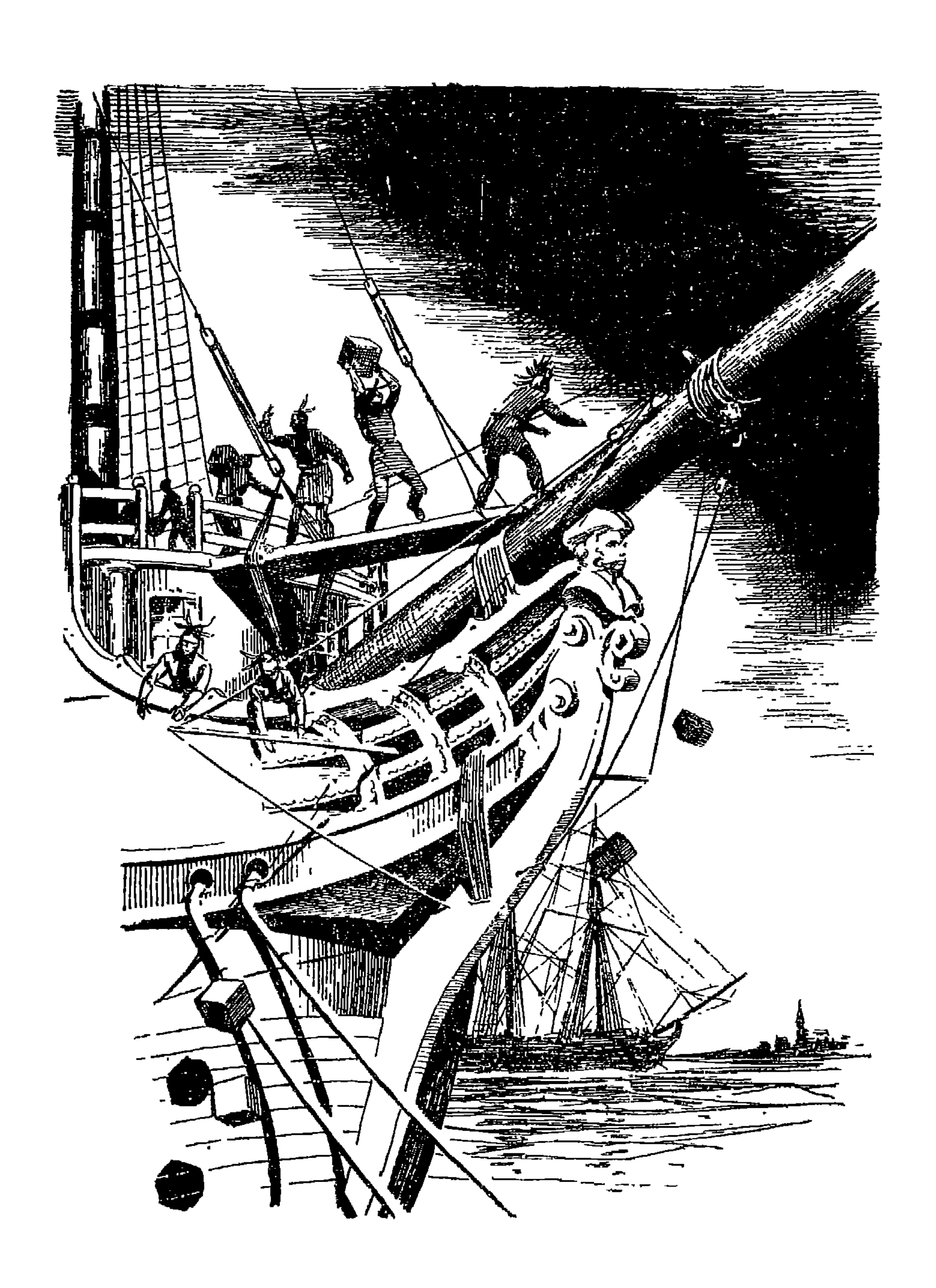
بدأ مستوطنون من الانجليز يرحلون الى ماوراء الجبال ، الى اقليم الاوهايو . ومن كارولينا الشمالية خرج صياد شاب اسمه دانيل بون ومعه بنادقه وجياده المحملة بالمتاع ليكتشف البرارى المجهولة التى كان يسميها الهنود « كنتاكى » .

وكانت القرى فى كل المستعمرات فى هذه الاثناء قد نمت وأصبحت بلدانا بل وأصبحت بعض البلدان مدنا . وزاد عدد المدارس والكليات فى البلاد وزادت الكنائس والصحف وزاد عدد موزعيها من رجال البريد الراكبين .

وكان بنجامين فرانكلين الحكيم ، السمين ، المرح قد عين مديرا عاما للبريد فى كل المستعمرات . كان قد قام برحلات بينها متنقلا من واحدة الى أخرى ليكتشف طرقا أقصر لرجاله من موزعى البريد الراكبين وليقيم مكاتب بريد جديدة . وكان نقل الخطابات والصحف الى مسافات أبعد أسرع وأرخص من أى وقت مضى .

وكانت الطرق قد تحسنت بعض الشىء هى الأخرى . وكانت عربات السفر ذات الألوان البهيجة تستطيع الآن أن تقطع الطرق بسرعة خمس أو ست أميال فى الساعة بعد أن أصبحت أيضا أكثر راحة من عربات السفر العتيقة الطراز .

ان سرعة وصول البريد وازدياد عدد الصحف وسهولةالسفر كانت كلها تساعد الناس فى مختلف المستعمرات على التعارف والتفاهم فيما بينهم ، كانت تقرب بين المستعمرات المتناثرة . وكان هذا أمرا طيبا اذ لن يلبث أهل المستعمرات أن يضطروا الىالنهوض معا فى وجه عدو أقوى بكثير من فرنسا .



الفصل السابع

« اذا كانوا يريدون حربا .. »

(الزمن ١٧٦٥ – ١٧٧٥)

ترامب ! ترامب ! ترامب ! ترامب ! وأخذت أربع فرق من الجنود ذوى الحلل الحمراء تهبط ممرات السفن الانجليزية ومنها الى ألواح الرسو فى مدينة بوسطن . ترامب ! ترامب ! ترامب ! ترامب ! وواصلت سيرها على الألواح ثم جعلت تخوض فى البرك الصغيرة المتجمعة من مياه الأمطار فى الطرق الحجرية المرصوفة .

واصطف على جانبى الطرق الرجال والنساء والأطفال يراقبون الجنود فى صمت وتلصصت الوجوه جامدة من وراء النوافذ التى بللتها الأمطار بينما يمر ذوو الحلل الحمراء . كان الجميع فى بوسطن يعرفون لماذا جاء الجنود وكان الجميع تقريبا بين غاضب أو خائف .

كان ذلك فى شهر مايو عام ١٧٧٤ أى بعد أكثر من عشرة أعوام من انتهاء الحرب الفرنسية والهندية . وفى أثناء تلك الأعوام كان قد حدث كثير من المتاعب بين أهل المستعمرات والوطن الأم .

كانت المتاعب قد بدأت لأن ملك انجلترا أراد مزيدا من المال لحكومته . لذا أمر أهل المستعمرات أن يدفعوا ضرائب عن بعض

الأشياء المرسلة اليهم من انجلترا . ولكن أهل المستعمرات لم يألفوا تلقى الأوامر .

وقالوا يذكرون الملك أننا انجليز ولنا ما لكل الانجليز من حق تقرير طريقة الحكم وتقرير الضرائب . ولن ندفع ضرائب الا اذا أمكننا أولا أن ندلى بأصواتنا فيها أولا .

وأصر الملك جورج الثالث الذى كان شابا صغير السن ولم يكن بالغ الحكمة وقال بل ستدفعون الضرائب ، وستدفعون أى ضرائب نقررها وستطيعون أى قانون نصدره .

فنشب الخلاف عند ذلك وأخذ يزداد سوءا . رفض أهل المستعمرات فى غضب أن يشتروا من انجلترا أى شىء مفروض عليه ضريبة . وفقد التجار الانجليز اموالا كثيرة . وفى النهاية رفع الملك وأصدقاؤه فى الحكومة الانجليزية الضرائب عن كل شىء الا الشاى .

وقال أهل المستعمرات للتجار الانجليز : لا ترسلوا الينا شايا عليه ضريبة . فاننا لن نشتريه .

ولكن ما لبثت أن أبحرت سفن محملة بالشاى فى طريقها عبر المحيط . وعندماوصلت امريكا كانأهل المستعمرات علىاستعداد لها فى نيويورك وفيلادلفيا وحالت الجماهير الغاضبة دون انزال الشاى الى البر . وفى تشارلستون أفرغ الناس حمولة الشاى وخزنوه فى اقبية باردة وأغلقوا عليه . وفى بوسطن ذات ليلة داكنة

فى شهر ديسمبر هاجم البعض من أهل المستعمرات متنكرين فى هيئة هنود وصعدوا الى ظهر السفن الراسية فى المرفأ . وعندئذ القوا بحمولة الشاى الثمينة الى البحر .

وأثارت أنباء ما فعلته هذه الجماعة بالشاى فى بوسطن الملك جورج الثالث . والآن جاء الجنود من انجلترا لمعاقبة أهل بوسطن وكانوا قد أمروا باغلاق الميناء وعدم السماح لأى سفينة تابعة لأهل المستعمرات بمغادرة الميناء أو الدخول فيه حتى يدفع ثمن كل الشاى المفقود .

كانت هذه عقوبة صارمة . وكانت بوسطن مركزا كبيرا لحركة السفن . وكان البحر يحيط بها من كل جانب تقريبا ، فاذا أغلقت الميناء فسيتعطل الآلاف عن العمل ، ولن يستطيع المزارعون أن يجلبوا اللحم والخضر الى بوسطن عن طريق القوارب . والصيادون لن يستطيعوا الخروج الى البحر ، ولن يلبث الطعام أن يصبح نادرا فيجوع أهل بوسطن وقد يموت كثيرون منهم .

ولكن حتى عندما كان ذوو الحلل الحمراء يسيرون فى الطرق المرصوفة كان الفرسان من الرسل الخصوصيين يهرعون بجيادهم خارجين من المدينة . وكانوا ينطلقون شمالا وجنوبا وغربا ليذيعوا نبأ المشكلة الواقعة فى بوسطن ويطلبوا المعونة .

وجاءت المعونة بسرعة . أرسل المزارعون فى كونيكتيكت ورود آيلاند قطعان الأبقار والخراف الى بوسطن وأرسلت

فيرجينيا وكارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية عربات محملة بالحبوب . وأرسلت مستعمرات أخرى أموالا ورسائل يقولون فيها : « لاتستسلموا . لاتدفعوا ثمن الشاى . سنقف بجانبكم ».

وكانت المستعمرات الثلاث عشرة حتى ذلك الوقت كأنها ثلاثة عشر بلدا صغيرا منفصلا . كان كل منها قد رتب أمور نفسه ولم يكن تعنيه كثيرا شئون المستعمرات الأخرى . أما الآن فقد استقر عزمهم على أن يعملوا معا لوضع حد لهذه المشاحنات الطويلة مع انجلترا . وفى كل مستعمرة ماعدا جورجيا ، كان الناس ينتخبون مندوبين عنهم لمناقشة الأمور فى اجتماع بفيلادلفيا .

واجتمع الرجال الذين نظموا « مؤتمر القارة » هذا عدة مرات . وفى النهاية قرروا أن يبعثوا برسالة الى الملك جورج الثالث ، وطلبوا اليه فيها أن يغير القوانين التى يرونها غير عادلة وأن يسحب جنوده من بوسطن .

وكان رد الملك الوحيد أن بعث بالمزيد من الجنود ، بالآلاف منهم . وفى هذا الوقت كان كثير من أهل المستعمرات قد شعروا تماما بأنه لن يلبث أن يتحتم عليهم أن يقاتلوا من أجل حقوقهم ، وبدأوا بالفعل يستعدون لذلك فى نيوانجلاند . وظهرت الجماعات من الرجال والصبيان الكبار يتدربون ، أسبوعا بعد أسبوع ، فى كل ساحة من ساحات القرى . وكان بعضهم الآن على الاستعداد للقتال بعد دقيقة واحدة من اخطاره ولذلك سموا « رجال الدقيقة » .

وفى ماساشوستس أخذ زعماء المستعمرة يجمعون فى البنادق والذخيرة والتموين دون ضجة ويخبئونها فى قرية كونكورد التى تبعد عن بوسطن ثمانية عشر ميلا .

أما بوسطن نفسها فكانت تعج بذوى الحلل الحمراء . وكان بول ريفير وبعض الآخرين من أهل المستعمرة يراقبون الجنود الانجليز طول الوقت مراقبة سرية . وفى الثامن عشر من شهر ابريل سنة ١٧٧٥ عرفوا أن البريطانيين قد علموا بأمر المؤن المخبأة ، وعرفوا أيضا أن الأوامر صدرت اليهم بالزحف الى كونكورد قبل طلوع النهار فى صباح اليوم التالى وبالاستيلاء على كل بندقية وكل برميل من براميل البارود .

كان ينبغى اذن تحذير أهل القرية بأى شكل ولذلك اسدعى رجال الدقيقة ورسم بول ريفير وأصدقاؤه خطتهم على عجل .

وفى وقت متأخر من الليل وبمساعدة الاصدقاء تمكن بول ريفير ووليام روز من التلصص هاربين خلسة أمام الحراس البريطانيين والخروج من البلدة . ثم اتخذ كل منهما طريقا منفصلا عن الآخر وامتطى جواده وأسرعا صوب كونكورد يشقان طرقا أضاءها نور القمر .

وكانا يخترقان القرى الهادئة وهما يهتفان بالناس « الى السلاح ! » ، وكانا يدقان على الأبواب والنوافذ « البريطانيون قادمون ! الى السلاح ! » .



وهرع الناس من فراشهم ، من فلاحين ومدرسين ومبشرين وأصحاب حوانيت وارتدوا ثيابهم على عجل وامسكوا ببنادقهم . وفى الوقت الذى اقترب فيه الجنود البريطانيون من ليكسينجتون ، فى طريقهم الى كونكورد ، كان سبعون من رجال الدقيقة ينتظرون بشجاعة فى ساحة القرية لملاقاتهم .

وعندما تقدم الجنود البريطانيون صاح قائد رجال الدقيقة « أثبتوا فى أماكنكم ولا تطلقوا النار الا اذا أطلقوا عليكم . ولكن اذا كانوا يريدون حربا فلتبدأ هنا اذن » .

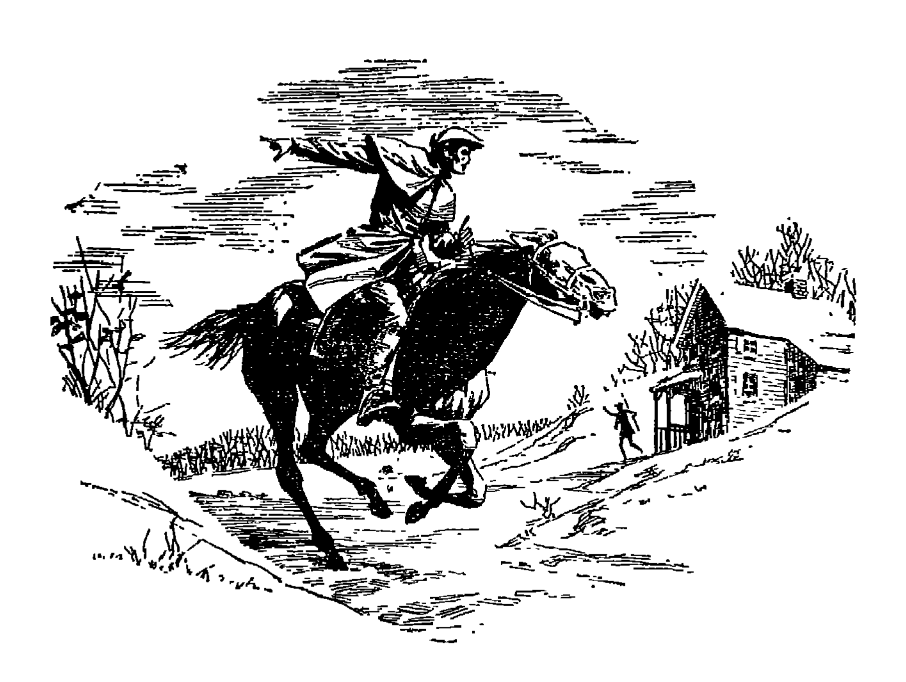
وأخذ الطابور الطويل من الجنود ذوى الحلل الحمـــراء يتقدمون بخطوات رشيقة على أنغام الطبول ، كما كانت أسلحة بنادقهم تلتمع والذهب يومض فى حلل الضباط القرمزية فى ضوء الشمس الطالعة .



وصدر اليهم أمر حازم فشكلوا طابور قتال . ووضع رجال الدقيقة أصابعهم على بنادقهم ونظروا اليهم مقطبين وفجأة فى مكان ما دوت طلقة . لم يعرف أحد ابدا من أى جانب انطلقت . وعلى الفور بدأ الجانبان فى اطلاق النار . وسقط ثمانيـة من رجال الدقيقة وتفرق الآخرون وتقدم البريطانيون صوب كونكورد .

وفى هذا الوقت كان قد اسرع رجال الدقيقة صوب كونكورد من كل صوب وحدب ، وكانوا على استعداد لمواجهة البريطانيين . وبعد قتال عنيف طردوا ذوى الحلل الحمراء من القرية وطاردوهم فى طريق عودتهم الى بوسطن . والآن ، على طول الطريق يجىء المئات من أهل المسـتعمرات الغاضبين من منازلهم جريا ليشتركوا فى القتال . وكانوا يطلقون النار على الجنـــود من خلف المنازل ومخازن الغلال والصـخور والأسـوار الحجرية والأشـــجار وأكوام الخشب .

وظل البريطانيون طيلة ما بعد الظهيرة من ذلك اليوم المشمس يتراجعون ، وكان الظلام قد أرخى سدوله حتى وصلوا بوسطن أخيرا . وكان قد قتل وجرح من البريطانيين ما يقرب من ثلاثمائة وكان هناك تسع واربعون من اهل المستعمرات الأمريكيين قـد قدر عليهم الا يروا شروق الشمس بعد ذلك اليوم . كانت قد بدأت حرب بين المستعمرات ووطنها الأصلي .





الفصل الثامن

وأخيرا أحرار

الزمن ١٧٧٥ – ١٧٩٧

ظل الرسل العاجلون يجولون البلاد ليلا ونهارا ليحملوا الأخبار الى كل المستعمرات . وكان الهياج سائدا فى كل مكان . وفى مئات المنازل أخذ الرجال يودعون أسرهم ويسرعون بالخروج للانضمام الى جيش أهل المستعمرات الغاضبين الذى كان يتجمع حول بوسطن .

وانعقد المؤتمر مرة أخرى فى فيلادلفيا واختار جورج واشنطن ، الذى كان أحد أعضائه ، ليقود الجيش الصغير . ولكن حتى قبل أن يصل جورج واشنطن الى معسكرات الجيش كانت هناك معركة عنيفة ناشبة خارج بوسطن عند «بانكرهيل». ومع أن رجال المستعمرات قد واجهوا البريطانيين بشجاعة فانهم انهزموا فى هذه المعركة كما وجد الجنرال واشنطن أن جيشهم لم يكن فى الحقيقة جيشا على الاطلاق .

كان الرجال يفتقرون الى البنادق والذخائر والطعام والخيام والملابس الرسمية ، وكانت تلزمهم شهور من التدريب ليتعلموا كيف يقاتلون معا ضد الجيش البريطانى الحسن التدريب .

واندفع جورج واشنطن الى العمل فورا . وما أن حل الربيع حتى بلغ جيشه من القوة ما يسمح له بطرد البريطانيين عن بوسطن ،

وابحرذوو الحلل الحمراء ليمضوا بالحرب فى مستعمرات أخرى ، وسار واشنطن ورجاله جنوبا الى نيويورك .

وفى هذه الاثناء وصلت أنباء سيئة من انجلترا بان الملك جورج الثالث قد أرسل اسطولا كبيرا من السفن الحربية . وكانت السفن مليئة بالجنود منهم تسعة آلاف من الهيسيتى وهم جنود المان استأجرهم الملك ليحاربوا أهل المستعمرات .

وعندما سمع الناس بأخبار الهيسيتى استنكروا ذلك وقالوا : يا لله ! يستأجرون جنودا أجانب ليحاربوا مواطنيهم ! ماذا يدعونا اذن لان نقبل حكم مثل هذا الملك ؟

وكان الرجال من ذوى الالباب فى كل هـــذه المستعمرات يتساءلون الآن « لماذا يحكمنا ملك على الاطلاق ؟ » .

وأخذوا يقولون فيما بينهم : اذا انفصلنا عن انجلترا فاننا نستطيع ان نحكم أنفسنا دون ملك يتدخل فى شئوننا . نستطيع ان نبنى أمتنا نحن وفيها يستطيع الناس ان يعيشوا احرارا .

وأخذ الناس يناقشون هذه الفكرة بحرارة فى قصور المزارع الكبيرة ، ومساكن المزارع الصغيرة فى نيوانجلاند وفى الاكواخ الخشبية عند الحدود . وكان كثير من اهل المستعمرات يدينون بالولاء للملك ، ولكن كان هناك أكثر منهم يريدون ان يحاربوا الى ان يحصلوا على حريتهم .

وظلت الاجتماعات الطويلة تنعقد يوما بعد يوم فى الكونجرس ،

وكان المندوبون عن كل مستعمرة يناقشون بحرارة خطة العمل . واتفقوا فى النهاية على أن تنفصل المستعمرات الثلاث عشرة عن انجلترا وان تشكل حكومتها المستقلة .

واختير خمسة من رجال الكونجرس لوضع صيغة يعلنون بها هذا الاستقلال على العالم وكان قد قام ثلاثة من هؤلاء الرجال بمعظم العمل .

وكتب ذلك الرجل الطويل الأحمر الشعر توماس جيفرسون مندوب فيرجينيا كلمات الاعلان باسلوبه هو . أما بنجامين فرانكلين العجوز الذى كان قد أمضى سنوات فى انجلترا ، يحاول انهاء النزاع حول الضرائب ، فانه أدخل تغييرا أو اثنين . وهكذا فعل مندوب ماساشوستس الرجل المفكر جون آدامز .

وفى الرابع من شهر يوليو عام ١٧٧٦ تليت وثيقة اعلان الاستقلال أمام الكونجرس ، وفى وقار أدلى الأعضاء بأصواتهم موافقين . وأعدت منها نسخ على عجل وأرسلت الى كل مستعمرة ، وبعد يومين ، تجمع جمهور كبير امام مبنى جميل فى فيلادلفيا اسمه « ستيت هاوس » ليستمعوا الى تلاوة الاعلان .

وما كان اهدأ الناس وهم يستمعون الى تلك الكلمات القوية الأبية التى كتبها توماس جيفرسون !! وما كان اقوى هتافهم حين استمعوا الى تلك الكلمات بينما الجرس الكبير فوق « ستيت هاوس » يدق فى سعادة وبهجة !!

ماذا قال اعلان الاســـتقلال ؟ قال ان الناس جميعا خلقوا متساوين ، وان لهم جميعا حق الحياة والحرية والسعادة ، وان لهم جميعا الحق فى أن يختاروا طريقـة حكمهم ، وان المستعمرات الثلاث عشرة هى الآن الولايات المتحدة الأمريكية الحرة المستقلة .

ولكن بالطبـع لم تصـبح الولايات حرة بعـد . بل بدت الأمور كأنها لن تصبح أبدا حرة . فان جيش جورج واشـنطن الصغير لم يكن كفئا على الاطلاق لمواجهة الجنـود الذين كانوا يصلون على ظهر السفن الحربية البريطانية . ومع أن الامريكيين قاتلوا قتالا مريرا فان ذوى الحلل الحمراء والهيسيين قد طاردوهم الى خارج « نيويورك » وعبر « نيوجيرسى » .

وكان قد جاء شهر ديسمبر حينما بلغ رجال الجنرال واشنطن نهر « ديلاوير » عند مكان يبعد سبعة أميال عن قرية «ترنتون» . وكان الهيسيون قريبين خلفهم . وأمر واشنطن رجاله بأن يأخذوا أى قارب يجدونه وان يعبروا النهر بسرعة . ووصل الامريكيون سالمين الى شاطىء بنسيلفانيا وأقاموا معسكرهم .

ولم يكن الهيسـيون يسـتطيعون ان يتبعوهم بلا قوارب ، وهكذا استقروا فى ترنتون . وفى هذه الأثناء كان الامريكيون فى كل مكان يشعرون بالقلق واليأس . وكان الجنود متعبين من القتال وفقدان المعارك . وكان كثيرون منهم ينوون مغادرة الجيش فى يوم رأس السنة حين تنتهى مدة خدمتهم . وحتى جورج واشنطن



نفسه كان مهموما مثقلا . حاول مرارا وتكرارا أن يفكر فى خطة تعين جنوده على الفوز فى معركة . وفجأة خطرت له فكرة أفعمته أملا وكان عليه ان ينتظر عيد الميلاد لينفذها .

وجاء عيد الميلاد . وفى ترنتون احتفل الهيسيون بالعيد فى حفل رائع وكثير من شراب الروم وفى تلك الليلة أووا الى فراشهم الدفىء وناموا نوما عميقا .

ولكن رجال واشنطن لم يناموا . وفى عاصفة ثلجية عنيفة تعمى الأبصار هبطوا الى قواربهم وعبروا نهر الديلاوير بمياهه الداكنة المليئة بالثلوج ، ثم زحفوا بهدوء وسرعة تحت قيادة واشنطن ، الى ترنتون .

وعند طلوع النهار اندفعوا الى داخل القرية واسروا مايقرب

من تسعمائة من الهيسيين النائمين ، واستولوا على مدافعهم أيضا وغيرها من المؤن التى كانوا فى مسيس الحاجة اليها .

وكان هذا يوما عظيما للامريكيين كما انه اكسب الجنود شجاعة جديدة . ولكن مع مرور الأشهر ، ظلوا يخسرون من المعارك أكثر مما يكسبون . وفى موسم سقوط الأمطار دخل البريطانيون فيلادلفيا منتصرين مع عزف الموسيقى والتلويح بالاعلام لتمضية شهر الشتاء . وأقام الامريكيون معسكرهم الشتوى عند « فالى فورج » على مبعدة عشرين ميلا .

وما كان افظع هذا الشتاء على الجيش الامريكى الصغير ! الريح القارسة البرودة تنفذ بصفيرها من خلال شقوق الاكواخ الخشبية التى يسكنها الجنود . ولم يستطع الكونجرس ان يبعث الى جورج واشنطن بالأموال الكافية للحصول على التموين فيبقى آلاف الرجال بلا أسرة ولاأغطية . وكثيرون منهم لم يكونوا يملكون سترات وكانوا يربطون أقدامهم بالخرق البالية لافتقارهم لى الأحذية . وكان الطعام شحيحا نادرا والدواء قليلا ضئيلا . ومات أكثر من خمسمائة رجل ، وهجر الجيش ما يزيد عن ذلك وعادوا الى بلادهم .

ولكن كان هناك مئات منهم ظلوا باقين . ومع أنهم كانوا يعانون البرد الشديد والجوع القارص فقد كانوا مستعدين مواصلة القتال الى أن تتحرر بلادهم . وكانوا الآن جميعا يحبون

الجنرال واشنطن الذى كان يشاطرهم مشقتهم ، ورفضوا مثل قائدهم العظيم ، أن ييأسوا .

وكان الناس فى أوروبا فى هذه الأثناء يسمعون عن النضال الباسل الذى يشنه الامريكيون من أجل الحرية . وعبر المحيط نبيل فرنسى شاب اسمه لافاييت ليحارب مع الجنود الامريكيين .

وكان هناك ضابط ألمانى يقوم بتدريب الجنود فى فالى فورج ليصبحوا جنودا اكثر مهارة .

وجاء مهندس عظيم من بولندا لمعاونة الجنرال واشــنطن . وفى نفس الوقت كان بينامين فرانكلين فى فرنسا يعمل جادا لاقناع فرنسا بارسال المساعدة الى الامريكيين .

وفى يوم بديع من أيام شهر مايو كان حملة الانباء يركضون فى ربوع البلاد بأخبار سارة :

« فرنسا ستساعــدنا . الفرنسيون يرسلون الرجال والسفن والاموال ! سيساعدوننا على طرد الهيسيين وذوى الحلل الحمراء من بلادنا ! » .

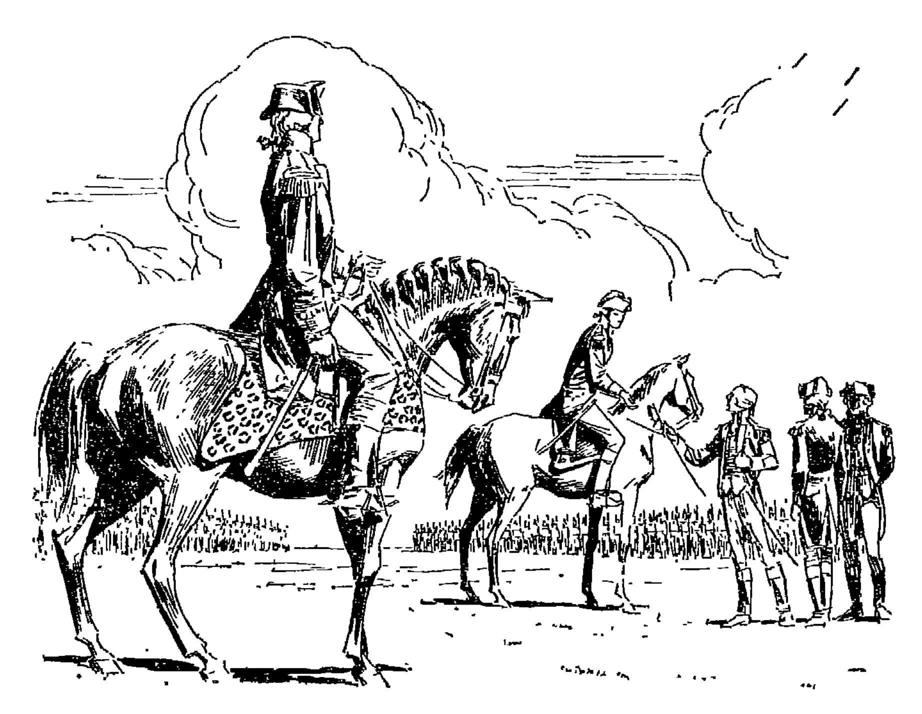
وهلل الرجال وبكت النساء من الفرحة . وفى « فالى فورج » احتفل الجنود احتفالا خاصا .

انفــرج كرب الامريكيين وقالوا لأنفسهم « والآن سريعــا ما تنتهى الحرب » .

ولكن الحرب استمرت وتلكأت ثلاثة أعوام أخرى . وقامت

معـــارك كبيرة فى الشمال والجنوب بل ونشب القتـــال حتى فى البرارى الواقعة فيما وراء جبال الألليجانى ، وفى أثناء هذا الوقت بدأت احوال الامريكيين تتحسن . وأخيرا تمكن جيش جـورج واشنطن هو والامريكيين من نصب فخ وقع فيه قائد انجليزى مهم اسمه كورنواليس وثمانية آلاف من ذوى الحلل الحمراء ، فى يوركتون بفيرجينيا .

ودوت المدافع وانفجرت القنابل فأنارت السـماء بينما كان الامريكيون والفرنسيون يهاجمون البلاد . وظل البريطانيـون يحاربون ببسالة عشرة ايام بلياليها . ثم اضطر الجنرال كورنواليس وجيشه من ذوى الحلل الحمراء الى التسليم . وخرجوا فى حزن من يوركتون وسلموا مدافعهم بينمـا كانت موسيقاهم تعـزف مقطوعة « الدنيـا انقلب حالها » ، « النصر ! النصر العظيم فى يوركتون ! » .



وسرى النبأ السعيد بسرعة وعمت الاحتفالات الكبيرة فى كل انحاء البلاد . ان الحرب الثورية الفظيعة قد انتهت تقريبا . لم تعد هناك معارك كبيرة . وفى غضون عامين كان قد رحل كل الهيسيين ودوو الحلل الحمراء عائدين الى أوطانهم . وفى عام ١٧٨٣ وقعت انجلترا معاهدة سلام .

وأصبحت الولايات الثلاث عشرة حرة فى النهاية ولكنها لم تكن أصبحت متحدة فعلا . كانت كل ولاية تعمل كما كانت بلدا مستقلا ، وكانت كلها تتعارك معا كالصبية المشاكسين حول مسائل الضرائب والأراضى وغيرها .

وقال الحكماء من أهل البلاد « ينبغى أن تكون لدينا مجموعة من القوانين تحكم كل الولايات والا فستتمزق هذه الأمة » . وهكذا اجتمع الزعماء من كل ولاية ووضعوا دستور الولايات المتحدة .

وبعد ذلك انتخب الأمريكيون أول رئيس لجمهوريتهم ، انتخبوا الرجل الذى قادهم بهذا الحزم وتلك الشجاعة أثناء نضالهم الطويل فى سبيل الحرية ، الرجل الذى لم يفقد شجاعته ابدا فى أحلك ايام الحرب ، الرجل الذى سموه « أبا بلاده » . كان هذا الرجل هو جورج واشنطن .

وظل الرئيس جورج واشنطن يعمل مع الكونجرس فى حكم البلاد بحكمة جعلتهم ينتخبونه للمرة الثانية ، ولكن عندما أراده

الامريكيون أن يرأس البلاد فترة ثالثة رفض هو ذلك ، وقال انه يخشى من أن أى رجل يرأس بلاده مدة طويلة قد يشعر بالرغبة فى أن يصبح ملكا .

وعندئذ انتخب جون آدامز ليحل محله وعاد جورج واشنطن الى موطنه فى « ماونت فرنون » ليقضى بقية حياته فى سلام .



الفصل التاسع

أوه ، هل تستطيع أن ترى ؟

(الزمن ١٧٩٧ ـ ١٨١٥)

بعد الحرب الثورية أصبحت الأرض الممتدة ناحية الغرب الى نهر المسيسبى جـزءا من الولايات المتحدة بعد أن كانت تابعـة لانجلترا . وكان معظم هذه الأراضى تربة طيبة خصبة تكاد الحبوب تنبت فيها تحت بصر الانسان ، وكانت الغابات مليئة بحيـوانات الصيد . فقرر مئات الناس الذين كانوا يجدون مشقة فى العيش فى الشرق ، أن يرحلوا اليها .

وأخذ هؤلاء يشقون طريقهم الوعرة عبر الألليجانى ، فكانوا يجيئون على الأقدام وعلى ظهور الخيل ، وفى العـربات الكبيرة ذات السقوف الزرقاء . وسـار بعضهم فى الطريق الذى شـقه « دانيل بون » الطريق المسمى طريق البرارى ، ثم استقروا فى كنتاكى وذهب آخرون الى بيتسبرج حيث استقلوا عائمة والألواح الطافية هبطوا عليها مع مياه نهر الأوهايو العريض .

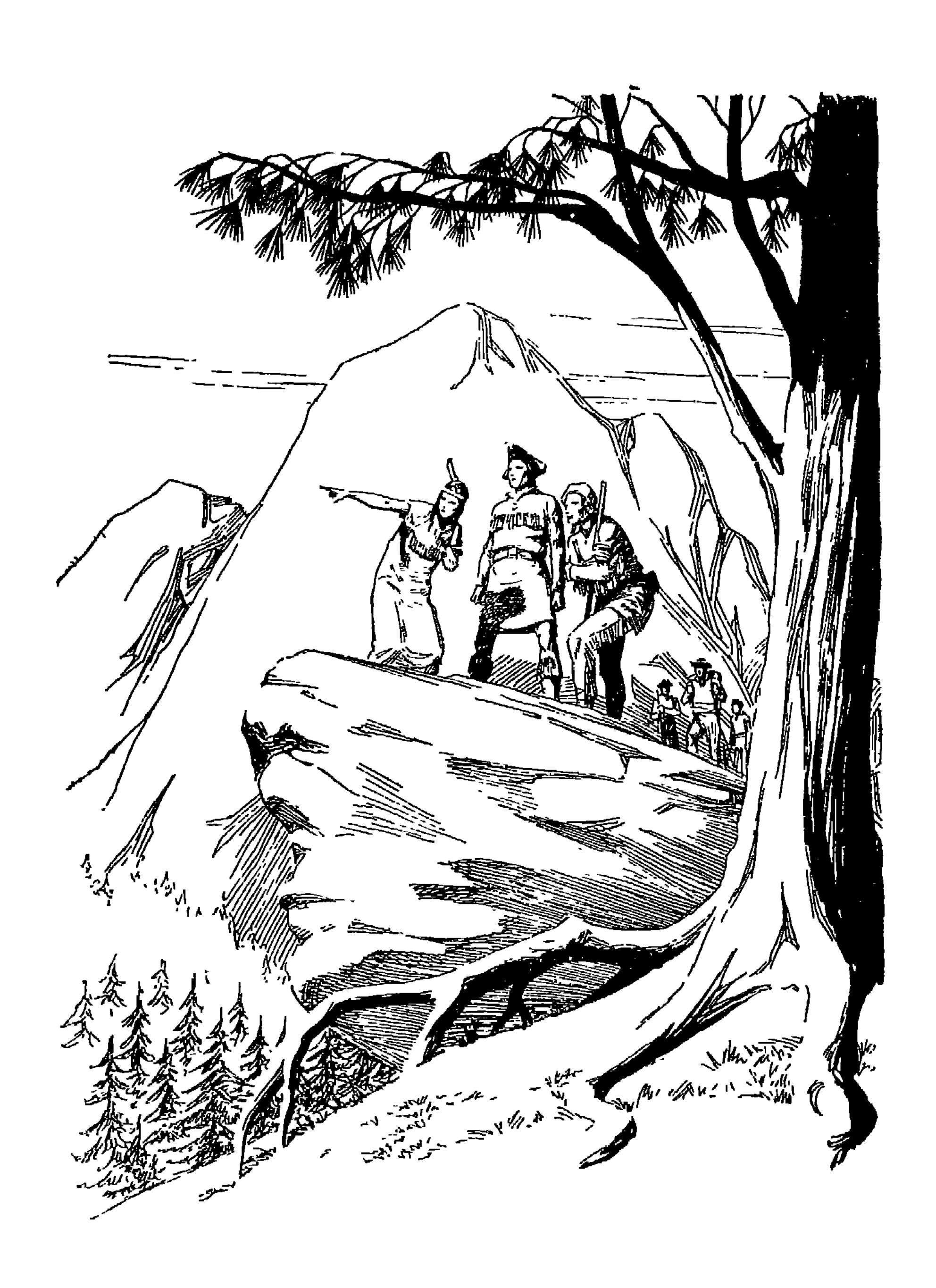
وكان الهنود يعرفون ان هذه الأراضى التى كانوا يصطادون فيها سيصيبها التلف والدمار فكرهوا مجىء الرجـل الأبيض . فكانوا يزحفون بين الأعشاب ثم ينقضون على معسكرات الرحالة فى الغابات أو يختبئون وراء النباتات السنطية ويكمنون للقوارب التى تأتى عائمة على صفحة النهر ، أو يسترقون ليلا ويهاجمون المحلات الصغيرة .

وفى النهاية أرسلت حكومة الولايات المتحدة الجنـود الى ما وراء جبـال الألليجانى لحماية المستوطنين وعند ذلك أخـذ الكثيرون يتجهون غربا فى أعماق البرارى والبعض منهم ليكتشف المجهول والبعض ليقيم موطنا . واتخذت الولايات المتحدة الآن عاصمةجديدة سميت باسم جورج واشنطن . وانتخب الامريكيون ثالث رئيس لهم هو توماس جيفرسون .

وكان رجلا حكيما يريد لبلاده أن تنمو . و فىعام ١٨٠٣ أعد الأمر لكى يشترى الكونجرس رقعة أرض كبيرة من فرنسا تمتد من نهر المسيسبى كل تلك المساحة الى جبال الروكى ، وفى كندا الى تكساس جنوبا ، فجعلت هذه المساحة الولايات المتحدة فى ضعف حجمها السابق .

ولم يكن أحد طبعا يعرف كثيرا عن اقليم لويزيانا هذا . لذا طلب الرئيس جيفرسون من ضابطين شابين من ضباط الجيش وهما « كميرنويتر لويس » و « ويليام كلارك » أن يقـوما باكتشاف هذه المنطقة . فبدآ بنهر الميسورى الواسع وفى صحبتيهما اثنان وثلاثون رجلا ومعهم ثلاثة قوارب صغيرة محمـلة بالمؤن . ومر أكثر من عامين دون أن يعودوا ، ثم ما كان أروع القصص التى عادوا بها !

لقد شقوا طريقهم عبر منطقة برية شاسعة ساروا فيها بحذاء أنهار مندفعة المياه ، واخترقوا ممرات جبلية عميقة حتى وصلوا

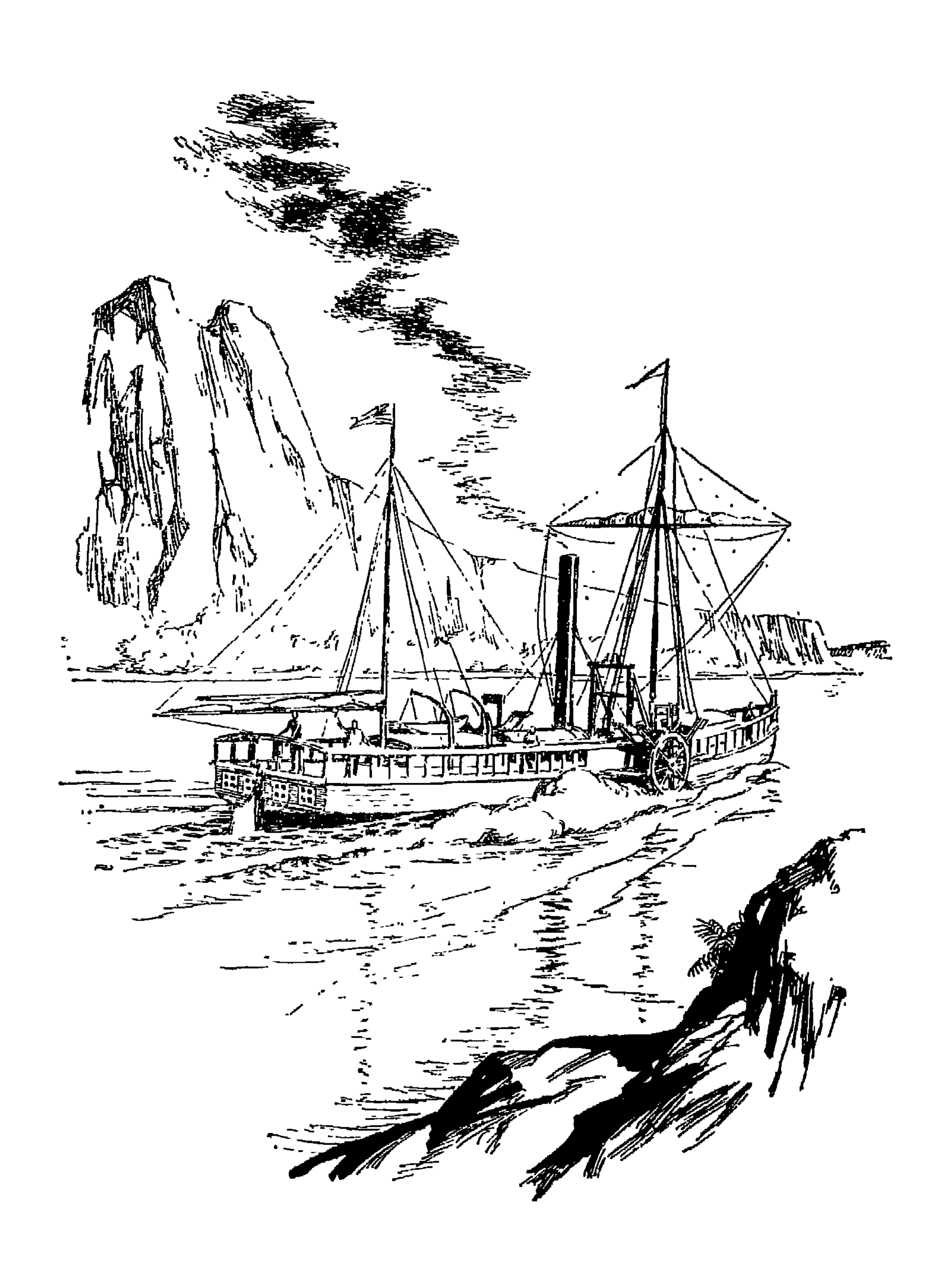


لى المحيط الهادى الكبير والتقوا بقبائل هندية غريبة ، مسالمة ومعادية ، وشهدوا مستعمرات كبيرة تجول فيهـا حيوانات ذات الفراء وقطعانا ضخمة من الجاموس البرى ، والأبقار الوحشية ، والأيل ، ونجوا بحياتهم من براثن الدببة المفترسة التى يبلغ ارتفاع الواحد منها عشرة أقدام عندما تنهض على رجليها الخلفيتين .

وأخبر لويس وكلارك الرئيس جيفرسون أن البلاد التى قاموا باكتشافها منطقة رائعة لتجار الفراء . وما لبث عشرات الرجال أن اندفعوا يشقون طريقهم غربى المسيسبى ومعهم البنادق والفخاخ والجياد المحملة بالمتاع والبضائع للتجارة مع الهنود .

وكان الأمريكيون ينتشرون الآن فى كل الاتجاهات . وكانوا يقيمون البلدان والقرى الجديدة ويبنون المـدارس والكنائس ويصدرون الجرائد والكتب ويشقون المزيد من الطرق .

الا آن النقل والتنقل بين جزء من البلاد وجزء آخر كان مايزال عملا صعبا محفوفا بالمخاطر . وأحيانا ما كانت عربات المسافرين أثناء اسراعها فى السير تمر فى طرق مليئة بالحفر والأحجار . كما كانت عربات النقل الضخمة من النوع المسمى « كونيستوجا » كثيرا ما تنغرس فى الأوحال . أما القـوارب المسطحة والألواح الخشبية الطافية فكان يمكنها أن تسير فى الأنهار بقوة التيار ، محمـلة بالحبوب واللحوم والفراء ، فى اتجـاه المصبات فقط لا المنابع .



وعند ذلك ابتكر روبرت فولتن القارب البخارى !

وفى يوم حار من أيام أغسطس من عام ١٨٠٧ ، وفى نيويورك ، تجمع الرجال والنساء والأطفال عند مرسى على نهر الهلاســون يتحملقوا مشدوهين الى ذلك القارب الغريب الشكل .

وكان الواحد منهم يقول للآخر فى عجب « بدون مجاديف ! لا شىء سوى تلك الآلة الغريبة على السطح وهذه العجلات على الجانبين . كلا ! لن يمكنها أبدا أن تسير ! » ولكن هذا القارب ، واسمه « كليرمونت » قد سار فعلا . لقد نفخ واهتز وارتج ثم رحل فى بطء عن المرسى ، ثم مخر فى كبرياء بقوة البخار ، صاعدا نهر الهلاسون وهو يرسل شرارات وسحبا من الدخان الأسود .

وأخذ الرجال يلقون بقباعاتهم فى الهواء ويهتفون ، وجعلت النساء تلوح بالمناديل وتحاول السيطرة على الاطفال الذين أخذهم العجب والاعجاب . ها هو ذا قارب يمخر المياه بقــوة البخار ! وقارب يستطيع أن يصعد النهر بنفس السرعة التى يهبط بهــا تقريبا .

وفى خلال بضعة أعوام كانت القوارب تقوم برحلات منتظمة فى نهــر الهلاسون تحمل الركاب والبضائع ، وعلى ضــفاف نهر المسيسبى كان الهنود يفرون فزعين خائفين لمرأى هذا المارد الذى يسير فى الماء وهو ينفث النار والدخان .

وفى هذا الوقت كان الأمريكيون واقعين فى مشاكل مع انجلترا

من جديد ذلك أن انجلترا كانت فى حاجة الى رجال للأسطول ، وكان القباطنة الانجليز يوقفون السفن الأمريكية فى البحر ويختطفون البحارة الأمريكيين .

ومن الطبيعى أن الأمريكيين ما كانوا ليحتملوا هذا الأمر ، ولذلك نشب عراك بين البلدين ما لبث أن تطور فأصبح حربا سميت حرب عام ١٩١٢ . وفى هذه الحرب ، فاز الأسطول الأمريكى الصغير بعدة انتصارات . لكن الجيش لم يستطع أن يوقف الجيوش الانجليزية التى هبطت الى البر عند خليج تشيزابيك فزحفت شمالا ودخلت واشنطن .

وهناك أحرق البريطانيون الكابيتول ، وهو مقر رئيس الجمهورية ، وعدة أبنية أخرى . ثم عادوا بعد ذلك الى سفنهم ، وأبحروا مسافة أخرى فى الخليج ، ثم هاجموا قلعة ماك هنرى الواقعة خارج بالتيمور مباشرة .

وكان مع البريطانيين سجين أمريكى اسمه فرانسيس سكوت كاى . وعندما بدأت المدافع البريطانية تقذف القلعة بالقنابل نظر هو الى العلم الأمريكى الجميل ــ المرفرف عاليا فوقها ، وتساءل اذا كان هذا العلم سيظل فى مكانه الى أن تنتهى المعركة ، أم أن القلعة ستقع فى الأسر وينزل هذا العلم ذو النجوم والشرائط .

وظلت النيران تنطلق الى ساعة متأخرة من الليل وعلى ضوء القنابل المنفجرة وجمرة وميض القذائف كان مستر كاى يلمح ،

مرة بعد أخرى ، قبسا من العلم ما يزال مرفرفا فى الهواء . وأخيرا توقفت القنابل . هل استسلم الأمريكيون ؟ الا يزال العلم مرفرفا ؟ ولم يستطع مستر كاى أن يعرف حتى الفجر .

وفى قلق ونفاد صبر أخذ يذرع سطح السفينة ينتظر طلائع ضوء النهار . وحينذاك بدأت تنتظم فى ذهنه كلمات :

أوه ، هل تستطيع أن ترى !

فى ضوء الفجر المبكر

هذا الذى رفعناه فى كبرياء

وأسرعت الكلمات تتدفق الى ذهنه وهو يحاول أن يتذكرها ، وفى بطء أخذت السماء تزداد ضياء ونورا ناحية الشرق ، وجعل هو يراقب القلعة فى قلق باحثا عن العلم ، وفجأة رآه — وقد مزقته احدى الطلقات ولكنه ما زال يرفرف .

والعلم المزين بالنجوم منتصرا ،

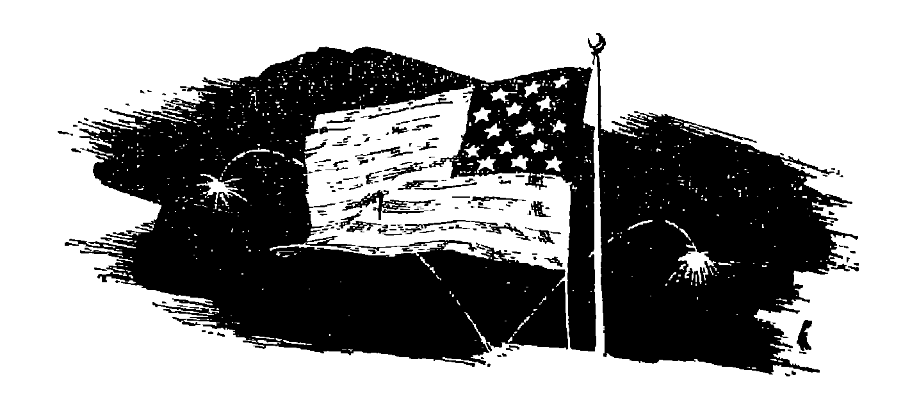
سيرفرف على أرض الأحرار ، ووطن الشجعان .

وأخرج من جيبه قلما ومظروفا وأخذ يخط بسرعة تلك الأشعار التى جاءته فى الليل ، وبعد ذلك حين غادر البريطانيون المهزومون بالتيمور لحنت الكلمات على أنغام أغنية انجليزية قديمة . وما لبث الأمريكيون فى جميع أنحاء البلاد أن أخذوا يغنون فى فخار « العلم المزين بالنجوم » تماما كما يغنيه اليوم كل أمريكى يشعر بالفخر والعزة .

ان الحرب التى أعطتنا هذا النشيد كانت حربا لم يرغب فيها الناس فى أمريكا ولا انجلترا . ففى ذلك كان الناس هنا وهنـاك قد أتعبهم القتال ولم يعد أمامهم غير معركة واحدة كبيرة .

فبعد مرور ثلاثة أشهر على ابحـار البريطانيين من بالتيمور هبط الى البر عند « نيو أورليانز » عشرة آلاف جندى من ذوى الحلل الحمراء . وهناك كان فى انتظارهم قائد شجاع اسمه آندرو جاكسون ومعه جيش من الهنود المحاربين والصيادين والكشافين . وأخـذ رجال جاكسون يطلقون النـار من خلف بالات القطن والجدران فقتلوا المئات من ذوى الحلل الحمراء وطاردوا الآخرين حتى عادوا الى سفنهم .

ولو كانت هناك وسيلة سريعة لحمل الأنباء من انجلترا الى أمريكا لما نشبت معركة نيو أورليانز على الاطلاق ، اذ تم التوقيع على معاهدة سلام منذ أسبوعين فى أوربا ، وكانت حـرب عام ١٨١٢ قد انتهت ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الولايات المتحـدة وانجلترا صديقتين حميمتين .



الفصل العاشر

فترة كبيرة حافلة بالتغيرات

(الزمن ١٨١٣ ــ ١٨٤٠)

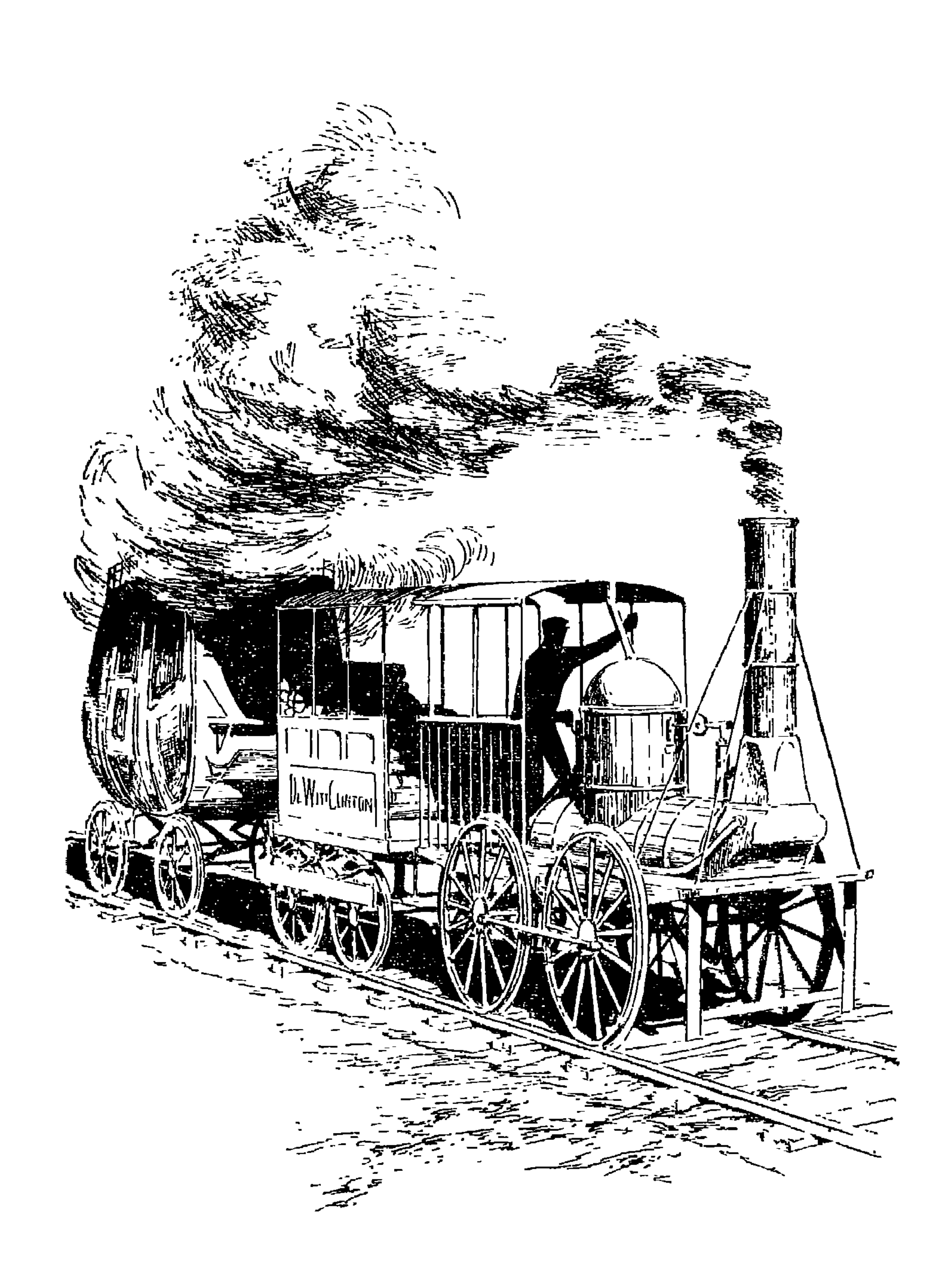
ان البلاد تتغير وتنمو ، كالأطفال تماما . وعندما ولدت الولايات المتحدة كانت فى حاجة الى معونة فرنسا قبل أن تحصل على حريتها من انجلترا . وكانت هناك خمس ولايات جديدة قد اتحدت مع شقيقاتها قبل حرب ١٨١٢ . والآن ، ومع أن البلاد كانت ما تزال يافعة شابة ، فقد أثبتت للعالم أنها تستطيع أن تخوض معاركها وأن تحفظ علمها خفاقا .

وكان الأمريكيون فخورين بهذا ولكنهم لم يضيعوا وقتا طويلا فى التفكير فى ذلك . بل كانوا مشغولين بشق طرق جديدة واقامة بلاد جديدة واكتشاف طرق جديدة للسفر .

وحتى فى أثناء الحرب كان هناك رجال استأجرتهم الحكومة ، يقومون بشق طريق عبر الجبال من مارى لاند الى اوهايو . وبعد انتهاء الحرب بوقت قصير بدأ الناس فى ولاية نيويورك يشقون قناة عبر ولايتهم تربط الشرق بالغرب .

وبعد ثمانية أعوام من العمل الشاق انتهى انشاء قناة « ايرى » الكبيرة .

وكانت القناة الكبيرة تمتد ، مليئة بالمياه المتدفقة ، من « آلبانى » الواقعة على نهر الهدسون الى « بافالو » على بحيرة « ايرى » . وكانت أطول قناة فى العالم ومن أكثرها حركة .


De Witt Clinton

ومنذ طلوع النهار الى سدول الظلام كانت الجياد والبغال تسير على جانبيها تجر القوارب ذات الألوان البهيجة مليئة بالمسافرين أو القوارب الصارمة الهيئة من حاملات البضائع . كان الفلاحون يرسلون بضائعهم الى الأسواق عن طريق القناة . كما رحل المئات من المستوطنين صوب الغرب ، عن طريق القناة ، ابتخذوا لأنفسهم أوطانا فى البرية الواقعة حول البحيرات الكبيرة ، وتوقف آخرون على شواطىء القناة حيث أقاموا قرى وبلدانا .

لقد كان السفر بطريق القناة وسيلة رخيصة مأمونة يسيرة للذهاب صوب الغرب أو الشرق . ومع ذلك وقبل أن تمر ستة أعوام على شق القناة ، كان الأمريكون يتحدثون عن طريقة للسفر أفضل منها .

وكان المخترعون ، فى أمريكا وانجلترا يحاولون منذ بعض الوقت أن يصنعوا آلة بخارية يمكنها أن تجر عربات على قضبان . وفى « بالتيمور » ذات صباح مشمس من شهر أغسطس من عام ١٨٢٧ ، كانت هناك قاطرة صغيرة سميت « توم ثم » مستعدة للتجربة .

وجاء الناس من مسافات بعيدة يشهدونها . وشد ما هتفوا حين تحركت هذه القاطرة الصغيرة ! وراحت تخترق البلاد ، فوق ثلاثة عشر ميلا من القضبان تجر وراءها عربتين صغيرتين استقلتهما حفنة من الركاب السعداء .

وفى العام التالى مباشرة جربت فى « اكبانى » قاطرة أكبر منها اسمها « دى ويت كلينتون » . وما لبثت القطارات أن أخذت تذرع المسافات القصيرة فى أنحاء أخرى من البلاد .

وكانت هذهالقطارات تتأرجح فى سيرها وتندفع ، وغالبا ماكانت تتوقف فجأة فتلقى بركابها من فوق مقاعدهم . وكانت الشرارات المنطلقة من القاطرات تشعل النار فى ملابس الركاب ، وأحيانا ما كانت العربات نفسها تخرج عن القضبان . ومع ذلك كان الأمريكيون يريدون المزيد من السكك الحديدية ، بكل مايستطيعون من سرعة ، والمزيد من القنوات أيضا .

وكان شق القنوات والطرق يحتاج الى آلاف العمال ، وكان كثير منهم يأتون من أوروبا ، فكانت السفن الشراعية الكبيرة تعبر المحيط أسبوعا بعد أسبوع تحمل المهاجرين من أيرلندا وألمانيا وانجلترا .

وكان بعض هؤلاء يذهبون غربا حيث يعاونون فى انشاء ولايات « أوهايو » و « انديانا » و «ميتشيجان» و «ايلينوى» . ووجد الآخرون أعمالا فى المدن الشرقية ، وعمل الكثيرون فى مصانع القماش الجديدة فى « نيوانجلاند » .

كانت حياة الناس فى الشمال تزداد سهولة فكان للمزارعين محاريث من الحديد تحطم سطح التربة العشبى أسرع مماتستطيع المحاريت الخشبية . ولم يعودوا الآن مضطرين الى تمضية ليالى

الشتاء يصنعون بأيديهم المسامير ومايشبهها . وماعادت زوجاتهم مضطرات الى القيام بأعمال الغزل والنسج اذ يمكنهم الآن الحصول على القماش والمسامير من المتاجر . وكذلك القبعات والأحذية واشياء أخرى كثيرة كانت تصنع من قبل فى المنازل . وحتى فى قرى الطليعة فى المناطق البعيدة غربا مثل ايللينوى كانت توجد المتاجر حيث تباع مثل هذه الأشياء .

وفى محلة نيو سالم بولاية ايللينوى كان يدير واحدا من هذه المتاجر شخص طويل القامة ، نحيف أشعث الشعر اسمه ابراهام انكولن . وكان شابا قويا ، شريفا ، شجاعا ، دائم الاستعداد لمعاونة من يقع فى الضيق . وكان شديد المرح أيضا . وكان الناس يقولون انه يستطيع أن يضحك القط نفسه بالقصص التى كان يرويها وهو يقيس أمتار القماش ويزن السكر والبن والشاى لعملائه .

ولد ابراهام لنكولن فى كوخ خشبى فى كنتاكى . وعندما كان فى السابعة عبرت أسرته نهر الأوهايو وأقامت فى بلاد الهنود الفطرية ثم تغلغلت غربا بعد ذلك الى ايللينوى .

ولم يستطع الصبى ابراهام لنكولن أن يبقى ابدا وقتا طويلا فى المدرسة . واعتاد ، الآن ، كلما فرغ من عمله فى المتجر ، أن يدس أنفه بين صفحات كتاب ، ذلك انه كان مصمما أن يتعلم بنفسه جيدا . وكان يدرس على يد ناظر مدرسة نيو سالم كلما

أمكنه ذلك . بل انه كان يقف فى بعض الأحيان امام مدرسة القرية يصغى الى التلاميذ وهم يلقون دروسهم التى حفظوها ــ ليتأكد من أنه قد تعلم كل ما يعرفون .

وفى هذه الاثناء كان قد ازداد عدد الصبية الذين يذهبون الى المدرسة ، فى الشمال بسبب ازدياد عدد المدارس المجانية . ولكن كان ما يزال كثير من الصبيان يمضون وقتهم فى مساعدة آبائهم أو فى تعلم الحرف ، وكان كثير من البنات يعملن فى الحقول أو المطاحن .

وفى الجنوب لم تكن قدأنشئت بعد مدارس مجانية ولا انتشرت المطاحن والمصانع .

كان الجنوب ما يزال فى الحقيقة منطقة مزارع كبيرة وصغيرة ، يزرع القطن فى معظمها .

وكان رجل اسمه « ايلى ويتنى » قد اخترع « مذراة » آلية يستطيع العبد أن يستعملها فينظف بذور القطن فى وقت أسرع مائة مرة من التنظيف اليدوى . وكان معنى هذا زيادة مقدار القطن المعد للتصدير بالسفن الى الأسواق . فزادت محاصيل القطن وزاد بالتالى عدد العبيد الذين جلبهم أصحاب المزارع .

واذ تضعف زراعة القطن من خصوبة التربة بسرعة فقداضطر كثيرمن المزارعين الى الانتقالالى أراضى جديدة . فكانوايصحبون أسرهم وعبيدهم ويذهبون الى تكساس أو يقيمون فى

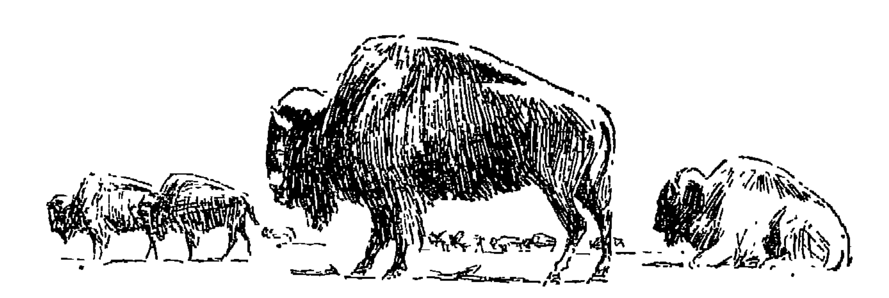
« آركانساس » أو « ميسورى » ، ولم يتوغلوا غربا أبعد من هذا ، اذ كانت هناك منطقة « السهول العظمى » تمتد وراء هذه الولايات شمالا الى كندا والى جبال الروكى غربا ، وكانت هذه بلاد الهنود .

وهناك كانت تسرح قطعان الجاموس البرى فى البرارى فيصطادها أهل القبائل القوية المعروفة باسم « الكومانش » و « الشيين » و « الكراو » و « السيو » ، وهناك أيضا كانت تقطن القبائل الهندية التى طردها البيض من الولايات الشرقية .

ولم يكن هؤلاء الهنود يريدون أن يرحلوا وحارب بعضهم حربا عنيفة دفاعا عن مزارعهم وقراهم ، ولكن حكومة الولايات المتحدة أخذت تضطر هذه القبائل واحدة بعد الأخرى ، الى بيع أراضيها أو التخلى عنها ، والانتقال غربا الى منطقة « السهول العظمى » .

وقيل للهنود « هذه الآن بلادكم . لن يقيم هنا رجل أبيض . وستكون هذه الأرض ملككم أنتم والهنود الغربيين الى الأبد » .

ولكن الرجال البيض كانوا يشقون بالفعل طرقا كبيرة عبر « السهول العظمى » .





الفصل الحادي عشر

أسرع !! أسرع !!

(الزمن ١٨٤٠ — ١٨٦٠)

كان واحد من هذه الطرق الكبيرة التى تخترق منطقةالسهول العظمى يمتد من بلدة الحدود « أنديندانس » ، فى « ميسورى » الى « اوريجون » الواقعة على بعد ألفى ميل . وكان ناصبو الفخاخ والتجار قد قاموا باستكشاف هذه البلاد البرية الجميلة . وكان المبشرون قد رحلوا الى هناك لتعريف الهنود باله الرجال البيض .

وكان هناك مئات من الأمريكيين يرغبون الآن فى الاقامة فى تلك البلاد ولكن لم يكن يجرؤ على المجاسرة على هذه الرحلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر ، الا ذوو الشجاعة الفائقة .

وذات صباح فى فصل الربيع من عام ١٨٤٣ خرج ما يقرب من ألف شخص لارتياد طريق البرارى هذا ، فى قافلة طويلة من العربات المغطاة السقوف . وتقدم الكشافون أول عربة فى القافلة يستطلعون وجود الهنود وقطعان الجاموس الوحشى ، بينما سارت وراء العربات مئات من قطعان الماشية والأغنام ومن حولها الحراس على ظهور الجياد لمنعها من الشرود .

وكانت هذه العربات تجرها الثيران فكانت تسير سيرا بطيئا . وكان الرجال يسيرون الى جانب قطعانهم فتسمع أصواتهم بين

الحين والحين وهم يزجرونها أو يستحثونها أو يقرعون فى الهواء بسياطهم الطويلة . أما النساء فكن يبقين تحت سقوف العربات مع الأطفال أو يسرن ببطء الى جانب العجلات .

وكانوا يتوقفون جميعا عند غروب الشمس فيقيمون معسكرا للمبيت ... فتضم العربات فى دائرتين كبيرتين وتقيد عجلات كل عربة بعجلات العربة المجاورة فتكون هكذا نوعا من المتـــاريس القوية . وتوقد النار داخل الدائرتين . وتقوم النساء بطهى طعام العشاء .

ويطلق سراح الثيران خارج المتاريس فترعى الكلأ مع الخيول والماشية ، وكان يتم اختيار بعض الرجال لمراقبتها بينما يتــولى آخرون حراسة المعسكرات الى الفجر . وفى الساعة السابعة من صباح كل يوم يستأنف التجار رحلتهم من جديد .

وظلوا يتوغلون غربا يوم بعد يوم يقطعون أميالا من أرض البرارى .. ويعبرون أنهارا واسعة ويخترقون ممرات جبليةعميقة. وكانوا غالبا ما يجلسون فى الليل يروون القصص أو يغنون معــا تحت نجوم السماء بينما يعزف أحدهم على مزماره . وأحيــانا ما كان يتردد فى الفضاء عواء الذئاب من بعيد .

وكان الهنود ، أثناء هذه الرحلة ، يزحفون على المعسكرات فيقتلون الماشية ويسرقون الجياد . وكان من الناس من تصيبه الجراح أو الأمراض . ومات بعضهم ودفن على جانب الطريق .

وكانت بعض هذه العربات تتحطم تحت أثقالها ، والثيران المجهدة تسقط أعياء . ولكن هؤلاء الرواد كانوا يهبون دائما لمساعدة بعضهم بعضا . وذات يوم سعيد ، بعد خمسة شهور من الرحيل والانتقال ، بلغوا وادى « ويلاميت » فى أوريجون حيث قرروا أن يقيموا موطنا .

وتبعهم مستوطنون آخرون . وبمرور الأعوام أخذت مئات من هذه العربات ذات السقوف البيضاء تقطع نفس الطريق .

وفى نفس الوقت كانت جماعة من الأمريكيين ممن يطلقون على أنفسهم اسم « مورمون » يشقون طريقا طويلا آخر نحو الغرب بعد أن طردوا من ديارهم فى الشرق بسبب دياناتهم . فخرجوا ، مثل طائفة « الحجاج » يبحثون عن مكان يستطيعون فبه أن يتعبدوا على طريقتهم .

ولاقوا مصاعب كثيرة حتى وصلوا فى النهاية الى بحيرة « جريفت سولت » فى يوتا . وأسرعوا يعملون فأخذوا يروون الأرض الجافة ويزرعون فيها الحبوب . وشقت الطرق الواسعة ولم يمض وقت طويل حتى شيد « المورمون » مدينة وسط الصحراء الغربية الشاسعة .

والى جنوب طريق المورمون يمتد طريق آخر أقدم منه يبدأ عند « أندبندانس » وينتهى ببلدة « سانتاف » المكسيكية . وكان التجار قد انهكوا هذا الطريق واذ كان يمر بمنطقة تجول فيها

قبائل « الكومانش » و « الآباش » الشرسين فقد كان التجـار يقومون برحلاتهم فى قوافل طويلة .

وكانت تلك العربات الكبيرة المغطاة تحمل بالمكابس والحبال والدخان والعدد ، والأرز ، والشاى ، وقطع القماش وغيرها . وكانوا يبيعونها الى المسالمين من المكسيكيين ذوى العيون الداكنة ، أو يبادلونها بالفراء الثمين . وفجأة توقفت هذه التجارة السلمية اذ دخلت الولايات المتحدة فى حرب مع المكسيك .

كانت حربا قصيرة الأمد وانتصر فيها الأمريكيون . وبانتهائها أصبحت كل الأراضى المكسيكية المعروفة باسم كاليفورنيا جزءا من الولايات المتحدة .

وكان كثير من الأمريكيين يعيشون فى كاليفورنيا فعلا . ولم تكد تنتهى الحرب حتى وقع أحدهم على اكتشاف مثير . وأصبحت قرية سان فرانسسكو فى يوم من أيام الخريف فى عام ١٨٤٨ تموج كلها بنبأ هذا الاكتشاف .

ذهب ! ذهب ! هكذا كان الناس يصيحون لبعضهم البعض وهم يتجمعون فى طرق القرية الموحلة ، ويقولون لبعضهم البعض هل سمعت الخبر ؟ لقد عثروا على ذهب عند « سارترز ميـل » على نهر « الأميركان » .

ذهب ! ذهب !

وانقلبت القرية كلها ظهرا على عقب وأخذ الرجال يختطفون



فئوسهم ومعاولهم ويقفزون الى ظهور جيادهم وينطلقون صوب « سارترز ميل » التى تبعد ما يقرب من مائة ميل .

ذهب ! اكتشف الذهب فى كاليفورنيا !

وانتشرت القصة فى أرجاء البلاد كما تندلع النار فى الهشيم . وكان الرجال يسمعون النبأ أو يقرأون عنه فيتركون ما فى أيديهم ويهرعون الى كاليفورنيا فى طمع وجشع .

وكان بعضهم يستقل القطار من سانت لويس ثم العربةالمغطاة

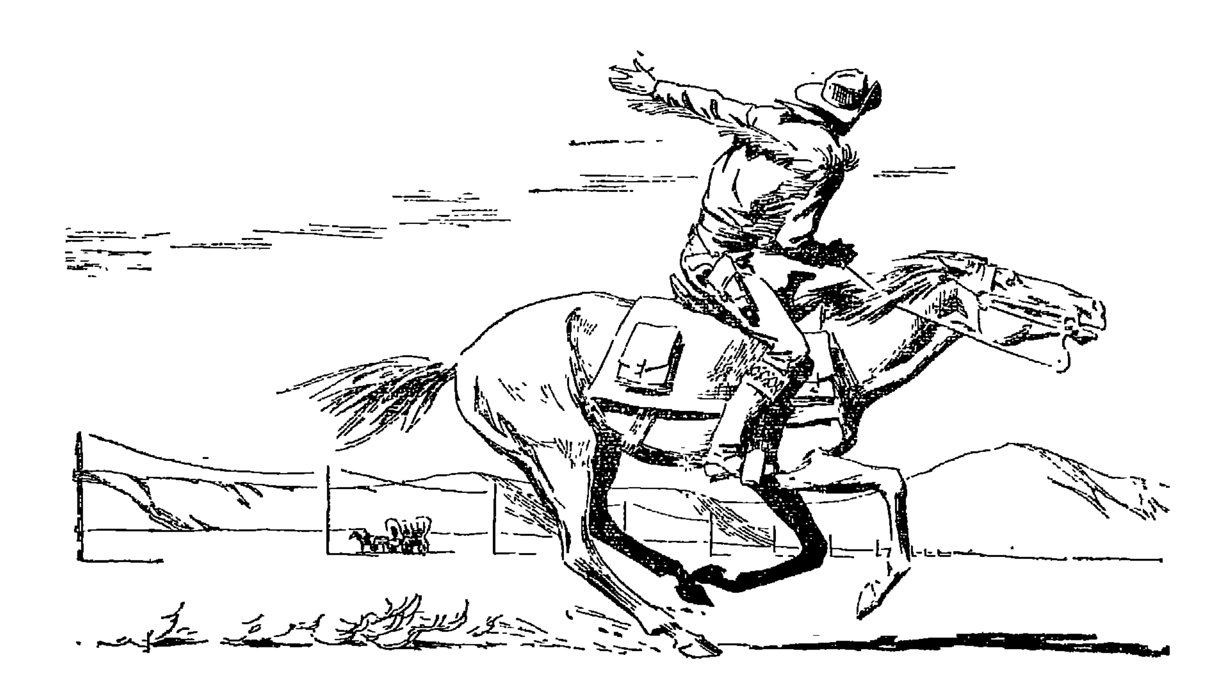
فيعبرون بها منطقة السهول العظيمة ، بينما ذهب الآخرون بالقوارب الى مضيق بناما ، ثم عبروا المضيق على أقـدامهم مخترقين غابة تضج بصياح القرود والببغاوات حتى بلغوا الشاطىء الغربى. وهناك توقفوا آملين أن تقلهم سفينة ميممة صوب « سان فرانسسكو » ، بينما أبحر مئات من هؤلاء الباحثين عن الذهب بسفن سريعـة دارت بهم حـول « كيب هورن » الواقعـة على طرف أمريكا الجنوبية ثم بمحاذاة ساحل المحيط الهادى الطويل .

تدفق الناس من كل ولاية من ولايات الاتحاد ، بل من بلاد أجنبية صوب حقول الذهب الحديثة الاكتشاف .. حتى بدا فى الحقيقة أن نصف العالم يغنى معا هذه الأغنية المشتركة :

سوزانا ! لا تبكى من أجلى
فانى ذاهب الى كاليفورنيـا
ومعى وعاء لتصفية الذهب !

ووصل الى سان فرانسسكو فى ذلك العام أربعون ألف شخص بينما كان هناك غيرهم فى الطريق . وعثر الكثيرون على الذهب وعادوا الى أوطانهم أغنياء ، بينما وجد آخرون أن كاليفورنيا بلاد مشمسة مونعـة بالأزهار ، ذات تربة خصيبة وأشجار باسـقة ، ففرروا البقاء فيها لتربية الماشية .

وكان من الطبيعى أن يرغب أهل كاليفورنيا فى الحصـول على الخطابات والصحف من الشرق فى أقصر وقت ممكن . وكذلك كان شعور أهل أوريجون . وأخيرا أنشىء خط لعربات السـفر سمى « البريد البرى » .

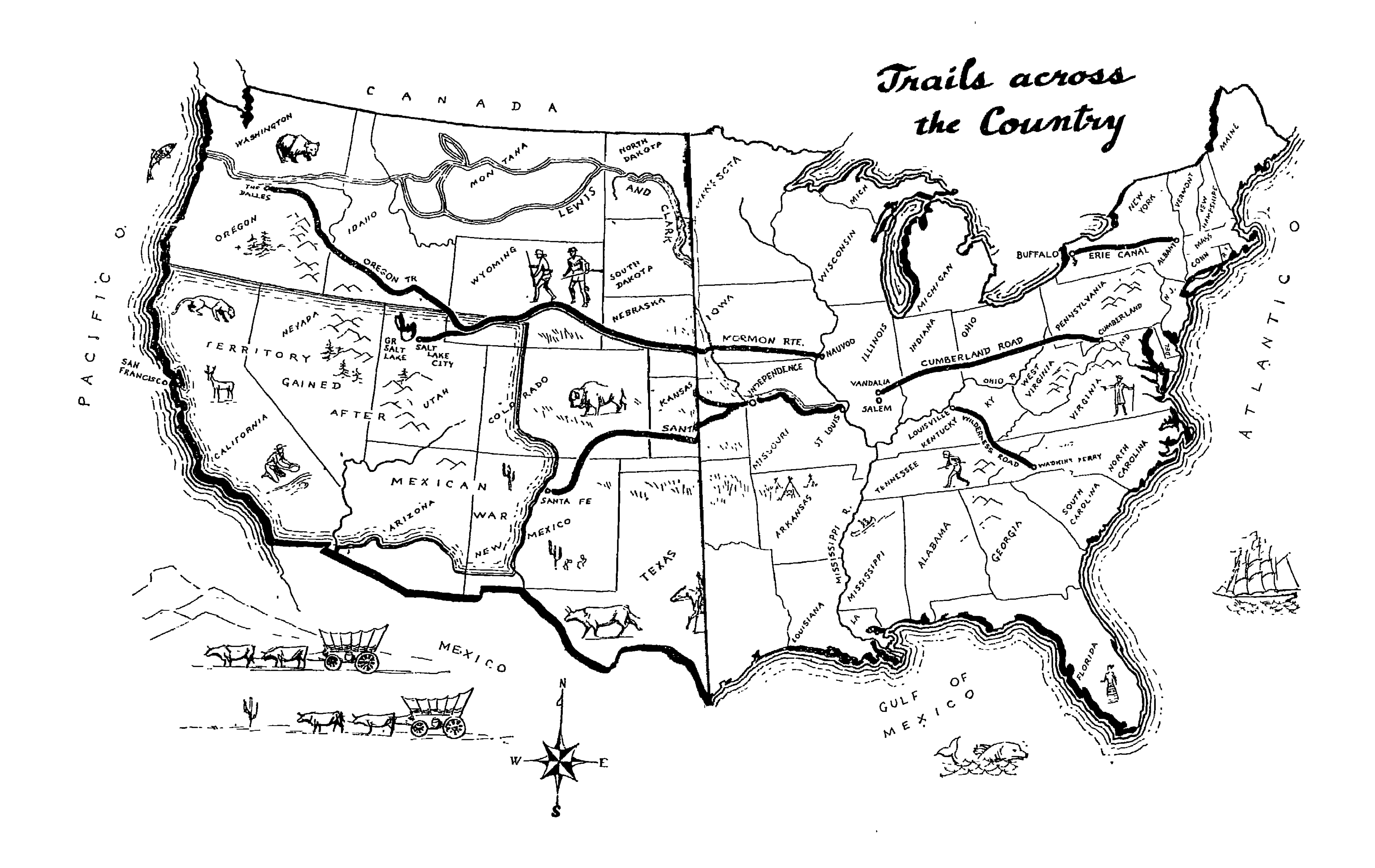


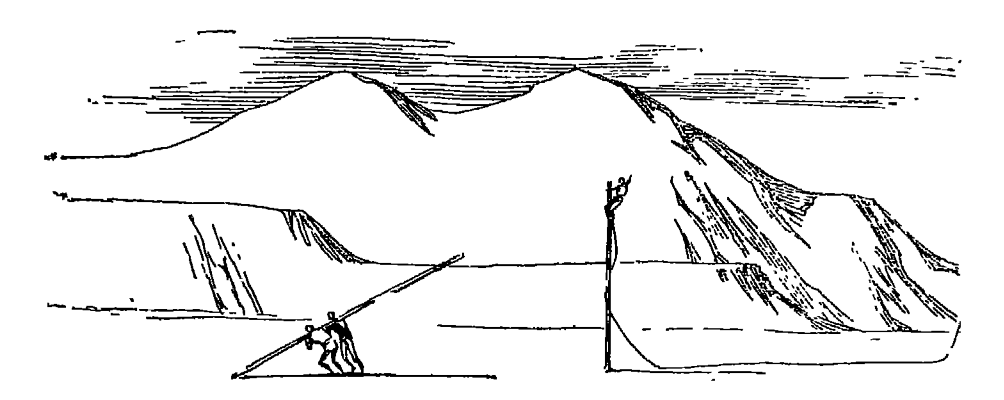
فكانت تسير عربة مرتين كل أسبوع متجهة من « تيبتون » و «ميسورى» نحو الغرب الى حيث ينتهى خط السكك الحديدية الشرقى ، تجرها ست خيول فتعبر البرارى مخترقة الممرات الجبلية وتقطع الصحراء الى كاليفورنيا .

وتستبدل الخيول فى المحطات المنتشرة على طول الطريق ويتولى سائق جديد قيادة العربة بينما يتناول الركاب الجائعون وجبات سريعة . ثم تنطلق العربات من جديد فتواصل رحلتها بالليل والنهار على السواء .

وعندما بدأ هذا الخط كان أهل كاليفورنيا يتعجبون قائلين : ألفان وثمانمائة ميل فى خمسة وعشرين يوما فقط ! !

ولكنهم ما لبثوا ان بدأوا يشكون ويقولون «خمسة وعشرون يوما لكى يصل البريد من الشرق !! ما أبطأ هذا !! »


Trails across the Country
CANADA
PACIFIC O.
ATLANTIC O.
GULF OF MEXICO
MEXICO
WASHINGTON
OREGON
THE DALLES
IDAHO
OREGON TR.
MONTANA
LEWIS AND CLARK
NORTH DAKOTA
SOUTH DAKOTA
WYOMING
NEBRASKA
MINNESOTA
WISCONSIN
MICH
MICHIGAN
IOWA
MORMON RTE.
NAUVOO
ILLINOIS
INDIANA
OHIO
NEW YORK
VERMONT
NEW HAMPSHIRE
MAINE
MASS
CONN
BUFFALO
ERIE CANAL
ALBANY
PENNSYLVANIA
CUMBERLAND
CUMBERLAND ROAD
N.J.
MD
WEST VIRGINIA
VIRGINIA
OHIO R.
VANDALIA
SALEM
LOUISVILLE
KENTUCKY
KY
WILDERNESS ROAD
NORTH CAROLINA
SOUTH CAROLINA
TENNESSEE
GEORGIA
ALABAMA
MISSISSIPPI
MISSISSIPPI R.
LA
LOUISIANA
ARKANSAS
MISSOURI
ST LOUIS
INDEPENDENCE
KANSAS
SANTA FE
TEXAS
NEW MEXICO
COLORADO
UTAH
GR SALT LAKE
SALT LAKE CITY
NEVADA
TERRITORY GAINED AFTER MEXICAN WAR
ARIZONA
CALIFORNIA
SAN FRANCISCO
FLORIDA
N
S
E
W



ورأى ثلاثة من أهل ميسورى أنه من الممكن أن يصل البريد من كاليفورنيا فى وقت أقل من هذا اذا حمله الرجال على ظهور الجياد . وفى عام ١٨٦٠ أنشأوا خط « الجياد السريعة » .

وكانت هذه جيادا سريعة وراكبوها شجعانا لا يخافون . وكانت « الجياد السريعة » تحمل البريد من ميسورى الى كاليفورنيا فى عشرة أيام فقط رغم الهنود المعادين ، والعواصف الرديئة ، وماقد يقع من حوادث . ولكن لم تمض شهور كثيرة حتى بدت هذه السرعة لأهل الغرب أقل مما ينبغى . وراح العمال يعملون بسرعة ، أسبوعا بعد أسبوع ، لمد خط من أعمدة التلغراف على طول الخط الذى يخترق منطقة « السهول العظيمة » .

وظل أهل الغرب ينتظرون ، فى صبر نافذ ، آخر عمود من هذه الأعمدة . وكان تشوقهم للأنباء يتزايد يوما بعد يوم . كانوا قلقين على بلادهم وأقاربهم وأصدقائهم فى الشرق . ذلك أن كل حظيرة كانت تهدد الولايات المتحدة فى عام ١٨٦٠ — مشاكل تجلب الشقاء والحزن الى عدد لا يحصى من الأسر فى جميع أنحاء البلاد .

الفصل الثانى عشر

أيام قاتمة للولايات المتحدة

(الزمن ١٨٦٠ – ١٨٦١)

وكان أصل المشكلة هو نظام العبودية . ففى أيام المستعمرين الأوائل كان الناس يقتنون العبيد فى الشمال والجنوب على السواء ، ولكن رأى أهل الشـــمال أنه من الخطأ أن يمتلك انسان انسانا آخر . وأخذوا يعتقون عبيدهم بالتدريج الى أن حرم نظام العبيد كله فى جميع ولايات الشمال .

أما فى الجنوب فقد ازدادت العبودية . ومن الحق أن كثيرين من العبيد كانوا يلقون معاملة حسنة ولـــكن المئات من الزنوج المتطلعين الى الحرية أخذوا يفرون من سادتهم . فكانوا يختفون بالنهار ويرحلون بالليل ، وتمكن عدد كبير منهم من الوصول الى الشمال . وهناك كان الناس الطيبون يقدمون لهم الطعام ويخفونهم عن أعين قناصة العبيد . ثم قدموا المساعدة الى كثيرين من هؤلاء الهاربين حتى يصلوا سالمين الى كندا .. وهى بلد لا وجود فيهـــا لنظام العبيد .

وأسخط هذا الأمر بالطبع أهل الجنوب وازداد غضبهم حين حاول أهل الشمال أن يمنعوهم من اقتياد العبيد الى أقاليم جديدة كانت تنشأ حينذاك فى الغرب .

واعترض الجنوبيون على ذلك قائلين « ان العبيـــد ملكنا ! ولنا نفس ما لكم من حق فى نقل ملكيتنا الى أقاليم جديدة . فاذا

مضيتم أيها الشماليون فى مضايقتنا فسننفصل عن الاتحاد وننشىء لنا بلادا مستقلة عنكم .

فرد الشماليون قائلين : « كلا ! ليس لكم أن تفعلوا هذا فانه عندما أنشىء الاتحاد اتفقت الولايات جميعا على الارتباط معا بدستور واحد ولن نسمح لكم بتجزئة الأمة جزءين » .

فانذرهم الجنوبيون قائلين « سنفعل هذا اذا كان ذلك فى صالح الجنوب » .

وازداد الخلاف سوءا بين الشمال والجنوب مع مرور الأعوام .

وكان ابراهام لنكولن أحد الشماليين الذين رفعوا أصواتهم وتكلموا بقوة أثناء هذا النزاع . وكان قد أصبح محاميا معروفا فى « ايللينوى » ذا معارف واصدقاء كثيرين . واذ كان يكره العبودية فقد ألقى الكثير من الخطب ضدها فى أنحاء عديدة فى البلاد . وكان الناس يهرعون اليه لبراعته فى الخطابة .

وكان بعضهم يبتسم ساخرا من قوامه الطويل الرفيع وملابسه المهملة وشعره الأسود الأشعث ولكنه كان يبدأ خطبته فيصغى اليه الجميع .

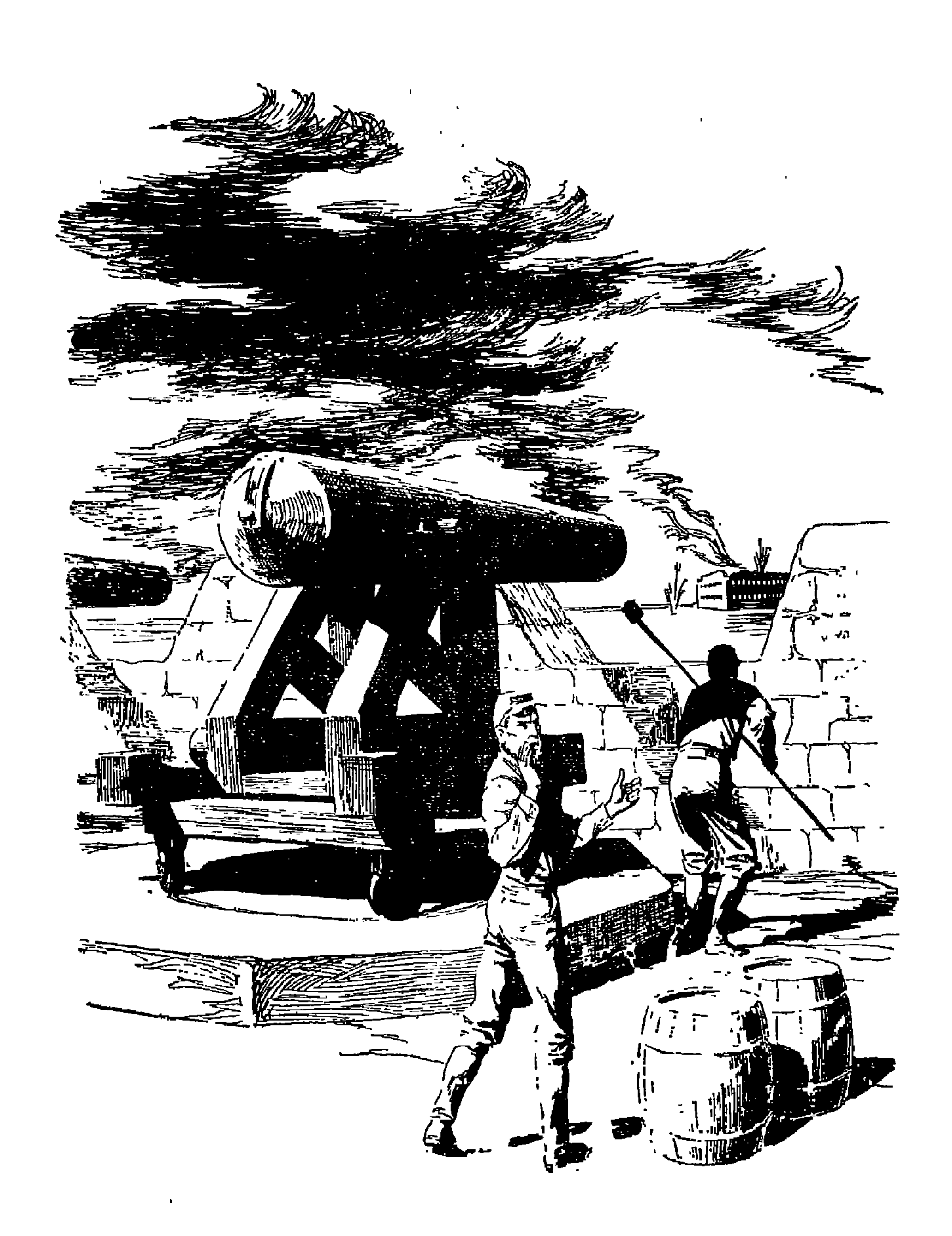
كان يذكر مستمعيه بصوت قوى واضح أن وثيقة « اعلان الاستقلال » تنص على أن الحرية حق مكفول للجميع . وكان يصر على تقرير أن العبودية شر لا ينبغى أن يسمح له بالانتشار . وكان يقول انه يؤمن بأنه لابد أن تكون هناك طريقة سلمية يفض



بها النزاع الدائر حــول العبودية . وكان يناشد أهل الشــمال والجنوب على السواء أن يتذرعوا بالصبر حتى يصلوا الى هذه الطريقة السلمية .

واستمع آلاف من الناس الى لنكولن وهو يخطب . وقرأ عنه آلاف آخرون فى صحفهم ، وأخــذ اعجابهم واحترامهم له يزداد الى أن انتخب فى ٦ نوفمبر ســنة ١٨٦٠ رئيسا للولايات المتحدة .

وكان هذا خبرا سيئا لأهل الجنوب !! فانهم لم يكونوا يرغبون فى أن يصبح لنكولن ولا أى شخص آخر من أعداء العبــودية رئيسا للبلاد . وبدأت الولايات الجنوبية ، على الفور تقريبا ، فى الانفصال عن الاتحاد . وشكلوا لأنفسهم حكومة خاصة أطلقوا عليها اسم الولايات « الأمريكية المتضامنة » ، وانتخبوا رئيســا تليهم زعيما جنوبيا اسمه جيفرسون ديفيز ونظموا كذلك جيشا خاصا بهم .



وكان الناس الآن ينتظرون فى قلق ما سيحدث بعد ذلك . ولم يطل انتظارهم .

ففى جزيرة فى خليج « تشارلتون » فى كارولينا الجنوبية تقوم قلعة اسمها « سمتر » . وفى فجر يوم ١٢ أبريل من عام ١٨٦١ قام جنود الحكومة المتضامنة بمهاجمتها ، وظلوا يمطرون القلعة بالقنابل من البر ما يقرب من يومين . ودافع عنها من كان بها من جنود الاتحاد دفاعا باسلا ، ولكنهم اضطروا للتسليم عندما نفدت منهم الذخيرة .

ونزل العلم ذو النجوم والأشرطة الذى كان يخفق فى عزة فوق قلعة « سمتر » وارتفع مكانه علم المتضامنين الجديد ـ علم ذو نجوم وخطوط ، وما لبث الأمريكيون فى كل مكان أن أدركوا أن حربا بين الجنوب والشمال قد بدأت .

وسميت هذه الحرب فى الشمال حربا أهلية أى حربا بين جزءين من أجزاء بلد واحد ، بينما سميت فى الجنوب حربا بين الولايات . وكان الشمال يحارب من اجل الاتحاد والجنوب يحارب لتحطيم هذا الاتحاد .

وكان كل من الجانبين مؤمنا بأنه على حق وبأنه سيفوز حتما . ولم يكن أحد يتوقع أن تطول الحرب بل الواقع أن الناس فى البداية لم يأخذوا الأمر مأخذ الجد .

وعندما نشبت أول معركة كبيرة عند « بول رن » فرب

واشـنطن خرج عدد من الرجال والنساء حاملين سلال الطعـام وامتطوا جيـادهم الى هناك ليتسلوا بمشاهـدتها . وعادوا الى بيوتهم تلك الليلة وقد صدم نفوسهم ما رأوه ، وجعلوا يأملون ألا يضطروا أبدا الى رؤية معركة أخرى .



الفصل الثالث عشر

أمة واحدة لا تتجزأ

(الزمن ١٨٦١ — ١٨٦٥)

ان كل الحروب بشعة . وفى الحرب الأهلية كان الأمريكيون يطلقون النار على أمريكيين آخرين فيقتلونهم فى معارك دامية . وأحرقت فيها منازل ومزارع واتلفت حقـول وضربت ، ومزقت خطـوط السكك الحديدية ، وحطمت جسـور ، ودمرت قرى وبلدان ، وقتـل الآلاف من الجنود ، واكتظت المستشـفيات بالجرحى .

ونشب أغلب القتال فى الجنوب . وفى البداية كانت قـوات الشمال تنهزم فى كل معـركة تدخلها تقـريبا لافتقارها الى قائد قوى ، أما قوات الجنوب فكان لها مثل هذا القائد ، وكان اسمه **« روبرت لى »** .

وكان الجنرال « لى » سيدا كريما من فيرجينيا ، أصـله ضابط فى جيش الولايات المتحدة — وكان ، شأنه شأن عدد من أهل الجنوب ، يكره نظام العبودية وكان هـو نفسه قد اعتق عبيده . ومع أنه كان يحب الولايات المتحـدة ، فانه كان يحب الجنوب أكثر من ذلك . وكان يقود جنوده ، بحللهم الرمادية ، من نصر الى نصر جديد .

وبعد ما يقرب من عامين فى القتال بدا الأمر كأن الجنـوب سينتصر حتما فى الحرب فيتحطم الاتحاد . وثبطت عزيمة أهـل

الشمال ، وكانت تمر أوقات يشعر فيها الرئيس لنكولن نفسه باليأس تقريبا .

وكان يرقد ليلا فى سريره الكبير يتقلب فى انتظار أخبار من وزارة الحربية وعند ذاك كان يشغل خاطره سؤالان كبيران : أين يستطيع أن يجد جنرالا فى قوة الجنرال « لى » وبراعته وقوة عزمه ؟ وماذا ينبغى عليه أن يفعل فى قضية العبودية ؟ ..

كان أناس كثيرون يتوسلون اليه منذ وقت طويل أن يحرر العبيد . ولكنه كان يرفض لأنه كان يعتقد أنه ليس من حقه أن يأخذ العبيد من مالكيهم ، فاستقر رأيه الآن على أن تحرير العبيد حرى أن يضعف من قوة الجنوب مما يساعد على انقاذ الاتحاد .

وحرر لنكولن فى دقة كبيرة ، اعلانا نسميه « اعلان التحرير » .

وعندما وقعه فى أول يناير من عام ١٨٦٣ تحرر جميع العبيد فى الولايات التى خرجت من الاتحاد .

وما كان أعظم غبطة الزنوج عندما سمعوا بالنبأ !! ولكن « اعلان التحرير » جعل الجنوبيين يزدادون عنفا فى قتالهم . وجاء الربيع فانتصر جنود « الولايات المتضامنة » فى معركة كبيرة فى فيرجينيا . ثم قادهم الجنرال « لى » جنوب الشمال داخلا بهم صميم « بنسيلفانيا » .

وذات يوم دافىء من أيام شهر يونيه فزع سكان بلدة « جيتيسبرج » لمرأى تلك الصفوف الطويلة من جنود الجنرال



لى ، فى حللهم الرمادية ، يخترقون طريق البلدة . ووقف البعض على أبواب منازلهم يتطلعون فى غضب الى الجنود المارين أمامهم ، وشعر الآخرون بالخوف لمرأى العـدو واختبأوا فى مزارعهم ، يدعون الله أن يأتى جيش الاتحاد سريعا للدفاع عنهم .

وكان أحد جيوش الاتحاد قادما فى الطريق . كانت هنـاك آلاف من الجنـود ذوى الملابس الزرقاء يتقدمون جنـوب جيتيسنبرج بقيادة جنرال اسمه « ميد » .

وفى أول شهر يوليو التقى الجيشان الكبيران ، وظلا يتحاربان حربا مريرة باسلة ، طيلة ثلاثة أيام طويلة حارة بشعـة . ودارت المعركة فوق التلال وفى حقول القمح ، وفى الطـرق المغبرة ، وبين

أشجار الخوخ والتفاح ، بل ونشبت مرة بين المقابر . ثم بدأ رجال الجنرال « لى » يفقدون سيطرتهم على الموقف ، وبدأوا يتقهقرون نحو الجنوب فى الرابع من شهر يوليو متعبين مهزمين وتمكنوا أخيرا تحت وابل من المطر المتساقط ، من عبور نهر « پتوماك » الى فيرجينيا .

وكان جنــود الإتحاد قد أحرزوا نصرا هاما فى جيتيسبرج ولكن الرئيس لنكولن غمغم ساخطا عنــدما علم بهذا ، ذلك أنه لو أسرع الجنرال « ميد » لوقع الجنرال لى وكل جنوده أسرى قبل أن يفروا هاربين عبر النهر ، ولانتهت الحرب بعد ذلك سريعا . أما الآن فقد تطول شهورا عديدة .

وسأل لنكولن نفسه من جديد فى بؤس أين له بجنرال قوى ذى عزيمة واصرار ؟ وظفر لنكولن بالجواب على سؤاله هــذا فى اليوم التالى مباشرة .

وحملت اسلاك البرق الى وزارة الحربية نبأ انتصار آخــر لجنــود الاتحاد اذ تمكن قائد اسمه الجــنرال « جرانت » من الاستيلاء على المدينة الجنوبية « فيكسبرج » فى ولاية مسيسيبى بعد محاولة عنيدة دامت ثمانية أشهر .

وقال لنكولن « لقد واصل محاولته ثمانية أشهر .. ثم فاز .. ان جرانت هذا هو الرجل الذى أبحث عنه » .

وما لبث أن اســتدعى الجنــرال « يوليسى جــرانت » الى

واشنطن وقادة القيادة الكاملة لقوات الاتحاد . وقرر « جرانت » على الفور الاستيلاء على « ريتشمود » فى ولاية « فيرجينيا » وكانت عاصمة الولايات المتضامنة ، وكان مصمما على بلوغ غايته . مهما استغرق ذلك من وقت أو كلفه من نفقة .

وخرج جرانت على رأس جيش كبير ، متجها جنوب الجنوب. وأسرع الجنرال « لى » بجيشه الكبير لملاقاته وتمكن الجنود المتضامنون من التغلب عليهم فى معركتين كبيرتين غلبة واضحة بعد قتال مرير لطرد المعتدين . ولكن « جرانت » ورجاله رفضوا التسليم بأنهم قد هزموا وظلوا يندفعون الى الامام فى عناد ، وعندما جاء الشتاء ووضع حدا للقتال كان كل من جيشى الاتحاد والحكومة المتضامنة قريبا من بيترزبرج الواقعة جنوب « رتشموند » مباشرة .

كان شتاء طويلا قاسيا على جنود الجنوب . وكانت المخازن والمزارع والسكك الحديدية فى الجنوب قد دمرت ولم تصل الامدادات التى كان « لى » فى مسيس الحاجة اليها .

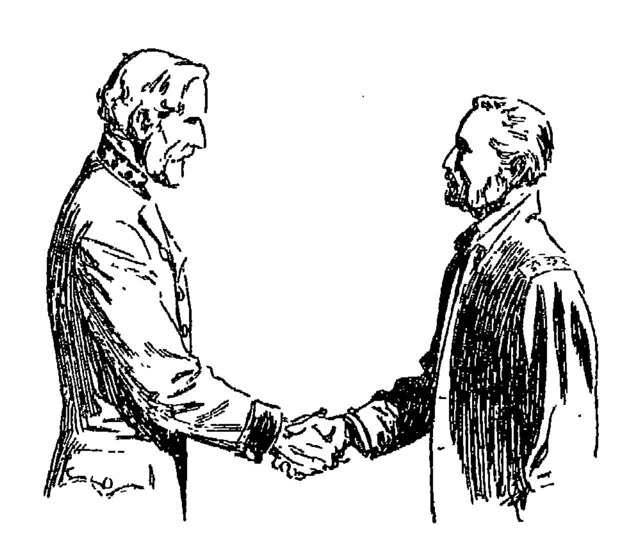
وكثيرا ما كان يقتصر طعام « المتضامنين » على كعك الخبز واللحم الردىء . وأصبحت ملابسهم أسمالا وشحت مخازن ذخيرتهم . وقبل أن ينتهى الشتاء كان الآلاف من الرجال قد ثبطت عزيمتهم وهجروا الجيش . ولكن آلافا أخرى كثيرة بقيت مع الجنرال « لى » على استعداد للقتال اذا ما أصدر أوامره .

وجاء الربيع — وفى اليوم الأول من أبريل هاجم رجال الجنرال « جرانت » جنــود الجنرال « لى » ومع أن الجنــوبيين قد حاربوا بعنف وشــــدة فانهم لم يتمكنوا من الاحتفــاظ ببلدة نيوزبرج ونما دورها فى وقت متأخــر من الليلة التالية وخرجوا مسرعين نحو الجنوب الغربى يقودهم الجنرال « لى » .

ولم يضيع الجنرال جرانت دقيقة واحدة . فقد ارسل جنودا للاستيلاء على رتشموند التى كانت الآن بلا دفاع وأمــر فصيلة من الفرسان بتطويق المتضامنين وفصلهم قبل أن يفروا بين التلال ثم خرج هو وراء الجنرال لى بأسرع ما استطاع رجاله .

وبعــد ســتة أيام كانت قوات الاتحــاد قد حاصرت جيش المتضامنين وأدرك الجنرال « لى » أن الوقت قد حان للتسليم .

وبغلب مبتئس أرسل الى الجنرال جرانت يقــول انه على استعداد للتسليم .



وفى التاسع من أبريل سنة ١٨٦٥ التقى القائدان الشجاعان فى منزل احدى المزارع بقرية « أبوماتوكس » بولاية فرجينيا ، وتصافحا فى عبوس ووقار ، ثم جلسا ومعهما مساعدوهما للتشاور بشأن شروط التسليم .

وكان الرئيس لنكولن قد طلب الى جرانت أن يكون كريما متسامحا مع الجيش المنهزم . وكان جرانت نفسه رجلا كريما ، فابلغ الجنرال لى أنه ليس على ضباطه أن يسلموا سيوفهم وأن لمن يمتلك من جنوده جيادا أن يحتفظ بها ليستخدمها لحراسة حقله فى موسم الربيع . ثم أصدر الجنرال جرانت أوامره بارسال الغذاء فورا الى جنود جيش المتضامنين الجائع .

وأخيرا انتهت الحرب الأهلية الشنيعة الطويلة وقام لاتحاد ، وانتهت العبودية الى الأبد ، واقبل السلام على بلد متعب ، وأصبح للعلم ذى النجوم والخطوط أن يخفق من جديد على بلد متحد .

وأخذت الفرحة العظيمة بالرجال والنساء والأطفال فى جميع أنحاء البلاد عندما بلغهم النبأ السعيد ، وحتى فى الجنوب بكى الناس سعادة وارتياحا اذ انتهت الحرب .

وفى واشنطن تجمعت الجموع المهللة الهاتفة أمام البيت الأبيض تدعو الرئيس لنكولن الى الظهور أمامهم والخطابة فيهم وعندما بدا لهم فى نافذة علوية كانت تضىء وجهه النحيل المرهق

شهامة مشرقة ولكنه لم يقل ســوى كلمات قلائل ثم عاد الى مكتبه ، فقد كان أمامه عمــل كثير . كان قد بدأ بالفعل برسم الخطــة لمساعدة أهل الجنوب على اعادة بناء بلدانهم ومــدنهم ووسائل العنــاية بشئون الأرامل واليتامى فى كل من الشــمال والجنوب .

وكان لنكولن متعبا مرهقا حينما طرح عمله جانبا ، بعد عدة ليال من ذلك اليوم ، ليذهب مع زوجته الى المسرح . ووصــلا متأخرين وكانت المسرحية قد بدأت . ولكن الجمهور وقف وهلل وصفق وهتف عندما جلس الرئيس لنكولن فى مقصورته المزينة بالأعلام .

ولكن كان هناك رجــل واحد بالمسرح لم يهتف ويهلل تلك الليلة . كان ذلك الرجل ممثلا معتوها اسمه «جون ويلكز بوث» يكره لنكولن وكل ما فعله لانقاذ الاتحاد . وبينما المسرحية ماضية دخل هو بهدوء يسير فى الممر الصــغير الواقع أمام مقصــورة الرئيس ، وفى صمت وهــدوء فتح الباب ورفع بيــده اليمنى مسدسه وصوبه نحو الرئيس وأطلق النار .

وانكفأ لنكولن أماما وقد أصابته الرصاصة بجرح فى رأسه . وفى وقت مبكر من صباح اليوم التالى مات لنكولن .

انقلبت الأفراح أحزانا فى ملايين المنازل ، بل كان فى الجنوب نفسه من بكى حزنا عليه وقال لقد فقدنا أخلص أصدقائنا ..



الفصل الرابع عشر

هنود حمر ، ورعاة بقر ، وسيارات

(الزمن ١٨٦٥ – ١٩٠٣)

فى الوقت الذى انتهت فيه الحرب الأهلية كان الهنود الحمر فى حالة ثورة وتمرد ، وكان لدى الهنـــود أسباب قوية فى هذا . كان البيض يعتدون على حدود أراضى الصيد التى وعد بها الهنود الحمر الى الأبد ، والمعدنون ذوو اللحى ينقبون عن الذهب فى « كلورادو » و « نيفادا » و « مونتانا » . ومد البيض خطا من أسلاك التلغراف عبر « السهول » وكانوا يدمرون الصـــخور ، وينشئون الجسور ، أثناء اقامتهم لخط من السكك الحديدية يمتد الى المحيط الهادى .

كانت عربات السفر تشغل الطرق الجديدة الممتدة عبر بلدان من الخيام والأكواخ التى أنشئت فى لمح البصر ، كانت أراضى صيد الهنود تدمر أمام أعينهم . وأخذهم الغضب فكان شبابهم الشجعان يمتطون صهوة جيـــادهم ويصرخون صرخات الحـــرب الوحشية ويهاجمون عربات السفر ويقتلون المستوطنين ، وينقضون على معسكرات المعـــدنين ويعاودون تمزيق أســـلاك التلغراف ، المرة بعد الأخرى .

وقاموا باقتلاع أجزاء من خطوط السكك الحديدية وتحطيم الجســـور أيضا ومع ذلك مضى العمـــل فى مد خطوط السكك الحديدية باضطراد .

كان العمال من الصينيين الصامتين ذوى الخصل المدلاة وراء الرؤوس يمدون أجزاء من الخطوط الممتدة من كاليفورنيا صوب الشرق بينما كان عمال من الايرلنـديين المسلحين تسليحا قـويا يقومون ببناء جزء آخر يمتد صوب الغرب من « براسكا » .

وذات صباح قارس البرد من عام ١٨٦٩ حمل قطار آت من الشرق وآخر من الغرب ، جموعا من الناس جاءت الى «برومنتورى بوينت » فى ولاية يوتاه لمشاهدة عملية مد آخر جزء من القضبان وألقيت الخطب الطويلة ، وتليت الصلوات ، ووضعت القضـبان مكانها ، وتولى أحد السادة دق آخر مسمار بمطرقة ذهبية لامعة. وعزفت الموسيقى لحنا بهيجا وامتلأت السماء بأصـداء الهتافات العالية . وبعيدا عن الجمع المزدحم وقفت جماعة من الهنود تراقب فى صمت . ربما كانوا يتساءلون فى عجب عن معنى هذا الضجيج والاحتفال ، ومع أنهم لم يعرفوا حقيقة الأمر بعد ، فقد أحسوا أن فيه نهاية لطريقة حياتهم .

ان المسافرين يستطيعون الآن أن يرحلوا من شاطىء المحيط الاطلسى الى شاطىء المحيط الهادى مستقلين القطار . ومنذ ذلك الوقت أخذ البيض يدخلون أراضى الهنـود فى أعداد تفوق كل ما سبقها .

وكان من بين هؤلاء كثير من الصيادين الذين جاءوا لاقتناص الجاموس البرى ، وكان بعضهم يقتل تلك الحيوانات الضخمـة

الغليظة الشكل لمجرد المتعة والرياضة ، بينما كان آخرون يقتلون منها الآلاف ويأخــذون جلودها للبيع تاركين جثثها تتعفــن فى البرارى .

ولم يكن الهنود يعتمدون على الجاموس من أجل لحــومها فحسب وانما كانوا يحتاجون الى جلودها ليتخذوا منها ملابسهم . فلما رأوا القطعــان الكبيرة يأتى عليها القتــل أخذهم الغضب والسخط .

وبدأت القبائل تشن الحرب واحدة بعد أخرى الا أنهم رغم شجاعتهم لم يكونوا خصــوما أكفاء لجنــود الولايات المتحدة المزودين بالأسلحة القوية . وفى النهاية اضطر الى التسليم زعمــاء أقوياء مثل « السحاب الأحمر » و « الثور الجالس » و « الحصان المجنون » و « جيرونيمو » ، وكل الزعماء الأقوياء الآخرين .

وفى حزن شديد عاد الزعماء بأتباعهم الجياع الى حصص من الأرض أفــردتها لهم الحــكومة ويطلق عليها اســم « الأراضى المحجوزة » حيث عاشوا فى أسى يأكلون الطعام الذى تقدمه اليهم الحكومة بعد أن وعدوا بمحاولة تعلم تلك الأساليب الغريبة التى يعيش بها الرجال البيض .

وأصبحت منطقة السهول العظمى ، بعد خلوها من الجاموس البرى واضطرار الهنود الى المسالمة ، منطقة لتربية المواشى والأغنام يقوم فيها رعاة البقر بدفع الآلاف من الحيوانات الطويلة القرون

كل ربيــع ، شمالى « شيشولم تريل » مــن « تكساس » الى « كانساس » ومن هناك ترحل القطعان على ظهــور السفن الى الأسواق الشرقية .

وبينما تدفع الآلاف الأخــرى من القطعان الى أبعد من ذلك شمالا فى طرق أخرى من تلك الطرق الصحراوية الطويلة ، كان رعاة البقر يغنون أحيانا وهم يعملون منشدين هذه الأغنية :

هيا !! هيا !! أيتها الحيوانات الصغيرة

انه سوء طالعك أنت لا طالعى أنا

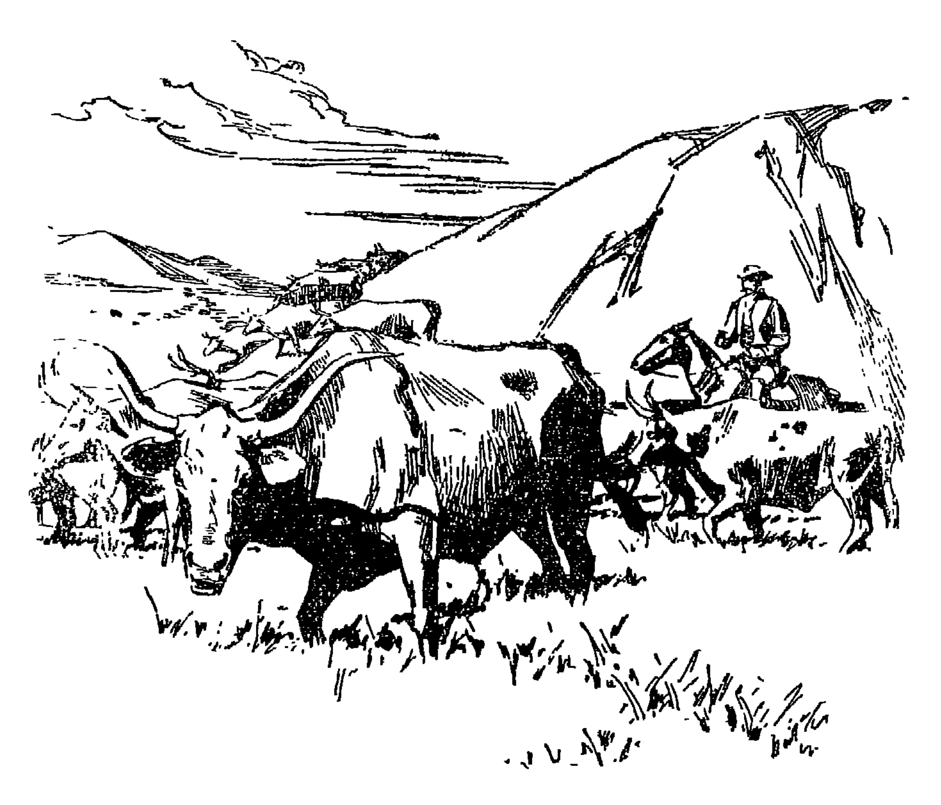
هيا !! هيا !! أيتها الحيوانات الصغيرة

فأنت تعرفين أن « ويومينج » ستكون موطنك الجديد !!

وظلت القطعان ، أعــواما ، ترعى فى حرية كاملة فى منطقــة السهول العظمى حين يطلقها الرعاة من عقالها دون أن يحفل أحد أين ترعى . ثم بدأ المزارعــون يأتون الى منطقــة السهول حيث الأرض رخيصة الثمن ، أو يحتلها من يشاء دون مقابل .

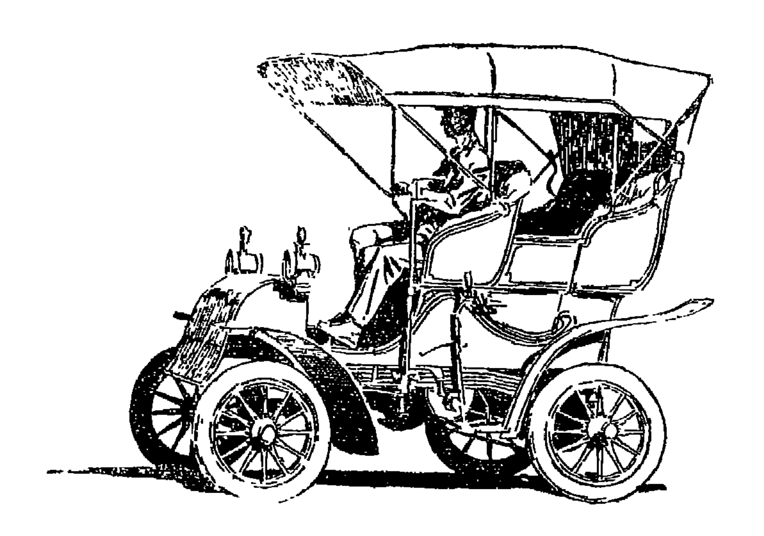
واذ كان الخشب قليلا فى هذه المنطقة فانهم كانوا يبنــون مساكنهم من الأحجار ويحفرون الآبار ويزرعون الحبوب .

ولكى يمنع المزارعون قطعان الماشــية من العــدوان على محاصيلهم كانوا يحيطون حقولهم بالأسلاك الشائكة التى ابتكرت حديثا حينذاك . فأغضب ذلك جمــاعات الرعاة ، وكانت تنشب المشاحنات المسلحة بينهم وبين المزارعين . وفى النهاية أحاط أصحاب



القطعان أراضى الرعى بالأسلاك الشائكة ، وبعدها أصبحت منطقة السهول العظمى منطقة هدوء واستقرار تتألف من المزارع والمراعى والبلدان المنتشرة .

وفى هذه الفترة ، كانت أساليب الحياة تتغير فى أجزاء أخرى من البلاد . حلت مواقد الغاز محل مواقد الفحم والخشب ، وكانت تطلق حرارة مباشرة باشعالها بعود ثقاب . وأصبح الطعام المطهى يعبأ فى علب لا يستغرق فتحها ثوان قليلة ، وأمكنت حياكة الثياب بالآلات المنزلية فى وقت سريع ، وكانت الاختراعات الموفرة للجهد والعمل تجعل الحياة أسهل وأيسر على الفلاحين والميكانيكيين ورجال الأعمال والناس جميعا .



وأصبحت المزارع تستخدم الآن آلات بخـارية فى عمليات الحصد والجمع والضم . وبفضل التليفون الذى كان قد اخترعه « الكساندر بل » أمكن للناس أن يتخاطبوا وهم على مبعـدة أميال ، كما أمكن تبادل الرسائل بالأسلاك الكهربائية الممتدة تحت الماء بين انجلترا وأمريكا ، كما أتاح ابتكار الآلة الكاتبة سرعة تفوق أى كتابة يدوية .

وكان « توماس اديسون » سعيدا فى معمله فى « منلوبارك » بولاية « نيوجيرسى » يخترع ويبتكر ، بحيث كان يواصل عمله ليل نهار . كان قد اخترع الفونوغراف وسكة حـديد كهربائية ، وجهازا للصور المتحركة واخترع ما هـو أهم من ذلك . اخترع مصباحا كهربائيا يعطى ضوءا ثابتا مأمونا يمكن استخدامـه فى انارة الطرق والمصانع والمستشفيات وغيرها من الأبنية .

وفى الوقت الذى كان اديسون مشغولا فيه ، فى «نيوجيرسى» كان رجال آخرون فى جهات أخرى يحاولون صنع عربات تجرى

بلا أحصنة . حاول ثلاثة أو أربعة منهم تسييرعرباتهم بقوة البخار . وأجرى آخرون تجاربهم فى آلات الكهرباء والجاسولين . ونجح الجميع فى خلال أعوام قليلة .

وما أكثر ما ضحك الناس حينما رأوا أول سيارة ! كانوا يصيحون قائلين كلما توقفت احداها عن السير فى طريق مزدحم أو تعثرت فى الوحل : « ضع أمامها حصانا يجرها » .

وأخذت السيارات فى الطرق تزداد عاما بعد عام كما ازداد عدد الطرقات نفسها . وزاد عدد المدارس والكليات والمستشفيات والكنائس والمتاجر والمصانع والمطاحن والسفن التجارية فى البحيرات والأنهار والصحف والكتب والمكتبات . وزاد عدد الناس أيضا .

كان الناس يفدون على الولايات المتحدة الآن من كل بلد فى أوروبا لا بل ومن بلاد غيرها أيضا . جاء الكثيرون منهم سعيا وراء فرصة لحياة أفضل من حياتهم فى أوطانهم ... ووراء فرصة أفضل لتعليم أبنائهم . وجاء آخرون لأنهم يريدون أن يعيشوا فى بلد لا يحكمه ملك ، بلد للناس فيه حرية تشريع قوانينهم واختيار رؤسائهم .

وكان معظم هؤلاء المهاجرين أهل جد وعمل فكانوا يصبحون حيثما حلوا مواطنين أمريكيين صالحين يساعدون على اثراء البلاد وتقويتها .

والواقع أنه ما جاء عام ١٩٠٠ حتى أصبحت الولايات المتحدة من أقوى الامم فى العالم . وكان علمها ذو النجـوم والخطوط يخفق فوق «ألاسكا» ، و «هاواى» و «كوبا» و «بورتوريكو» و « جزر الفيلبين » .

كانت الولايات المتحدة قد اشترت « الاسكا » من « روسيا » بعد انتهاء الحرب الأهلية بوقت قصير . أما « هاواى » فطلبت أن تتبع الولايات المتحدة ، و « كوبا » استولى عليها الأمريكيون

بعد انتصارهم على أسبانيا فى حرب قصيرة ، نشبت لتحرير أهل كوبا من حكامهم الأسـبان الظالمين . وعندما انتهت الحـرب أصبحت جـزر « بورتوريكو » و « الفيليبين » الأسـبانية هى الاخرى أقاليم تابعة للولايات المتحدة .

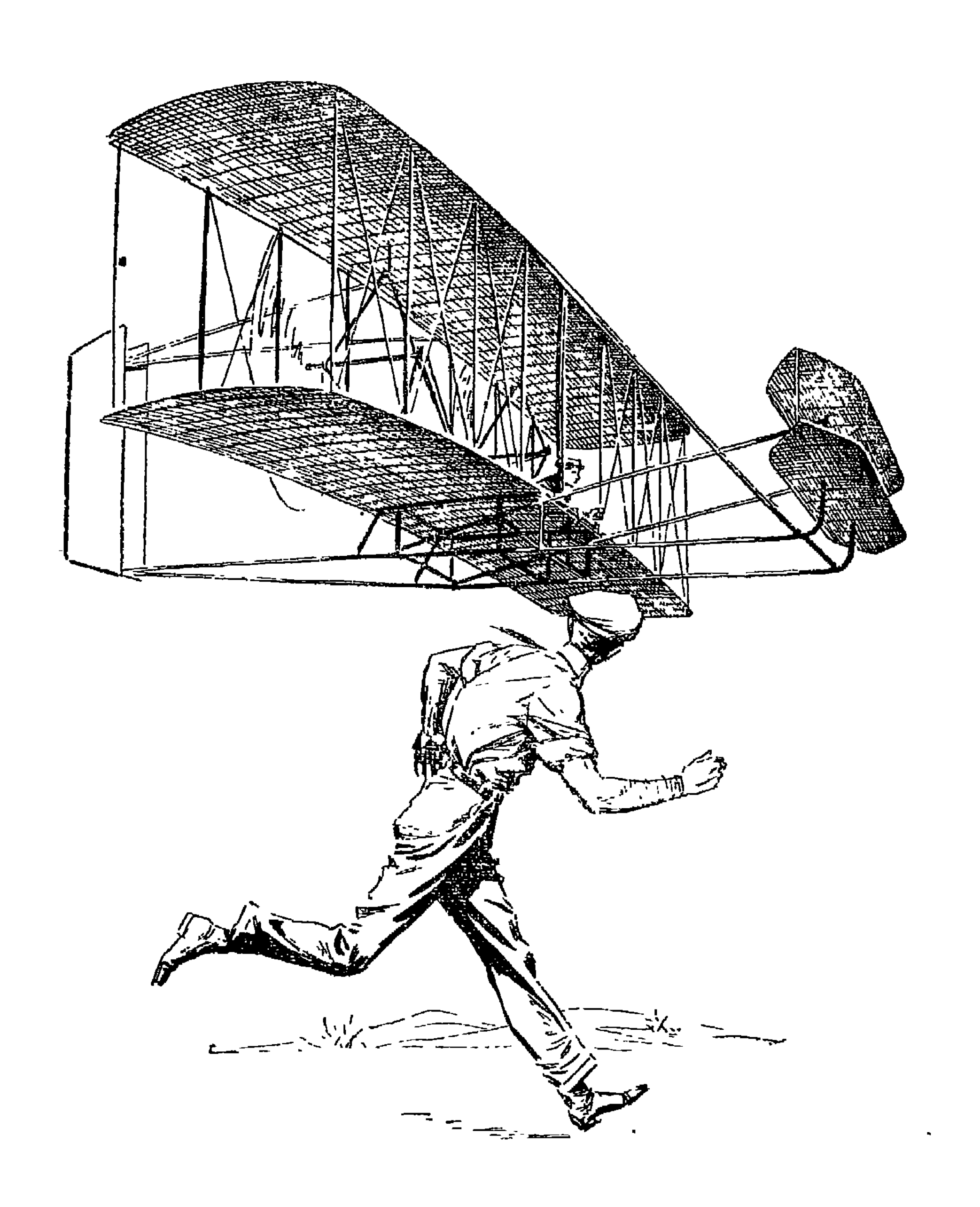
واذ لم يكن الامريكيون يرغبون فى أن تكون لهم مستعمرات فقد وعدت كل من هذه البلاد الخمسة باستقلالها حالما تتمكن من حكم نفسها بنفسها أو تصبح واحدة من الولايات المتحدة .

وفى عام ١٩٠٢ ، وبمعـاونة المستشارين الامريكيين أنشئت جمهورية كوبا وقام شعب كوبا بانتخاب أول رئيس للجمهورية .

وكان للامريكيون ، مع هذا ، جزر أخرى تحت حكمهم وحمايتهم فى المحيطين الاطلسى والهادى . واذ كانت الرحلة تستغرق عـدة أسابيع للدوران حول طرف أمريكا الجنوبية فقد أصبح من المهم أن يوجد طريق مائى قصير بين المحيطين . فأعد الرئيس روزفلت

للولايات المتحدة أمر تأجير شريط من الأرض حول مضيق « بناما » ايجارا أبديا ، ثم رسمت الخطط لشق قناة بناما .

وهكذا حدثت تغيرات عظيمة لهذه الأمة التى بدأت بمحلة جيمستون الصغيرة فى فيرجينيا منذ حوالى ثلاثمائة عام . وكان ما يزال فى انتظارها تغيرات أكبر وأعظم .



الفصل الخامس عشر

أعوام طيبة وأخرى سيئة

(الزمن ١٩٠٣ - ١٩٣٢)

كان الجو قارصا على شاطىء « كيتى هوك » فى « كارولينا الشمالية » وبعثت ريح شهر ديسمبر بالسحب المتلاحقة فى السماء الداكنة .

ونظر رجل اسمه « ويلبر رايت» الى ساعة ضبط الوقت وهو واقف الى جانب آلة رقيقة المنظر ذات أجنحة . ثم نظر الى شقيقه الذى كان منبطحا تحت أحد الأجنحة الى جانب آلة ذات ضجيج .

ورفع صوته فوق الضجيج يسأله « هل أنت مستعد ؟ »

فأجاب « أورفيل رايت » بصوت مرتفع هو الآخر : « أجل مستعد » . وبحذر واحتياط ، فك السلك الذى كان يربط الآلة الى لوح خشبى .

وكان على مقربة منهم أربعة رجال وصبى يراقبون فى قلق . وببطء أخذت الآلة تتقدم على اللوح الخشبى صوب الهواء .

ثم صعدت ، وصعدت فى الجو ـ ارتفعت أربعة أقدام عن الأرض ثم مالت فجأة بمقدمتها . ولكنها نهضت من جديد وارتفعت . وبعد ثوان قليلة ، مالت ثانية واستقرت على الرمال . وهتف « ويلبر رايت » والخمسة الآخرون فى سعادة عظيمة ، وهم يجرون نحوها .

يالروعة هذا المنظر الذى شهدوه ! لقدأنفق العلماء والمخترعون سنوات عديدة يحاولون صنع آلة يستطيع الانسان أن يطير بها . وها هما الأخوان رايت ينجحان !! ولأول مرة فى تاريخ العالم قامت آلة بحمل انسان فى الجو !!

ان الطائرة سوف تغير حياة الملايين من الناس فى جميع أنحاء العالم . ولكن لم يكن أحد يدرك ذلك حينذاك ، ولا الأخوان رايت نفسهما . وظلا أعواما كثيرة فى التجارب وتحسين بناء الطائرات .

وفى هذا الوقت كان مخترعون آخرون يجرون التجارب على آلات سوف تجعل الحياة اليومية أكثر راحة ويسرا .. آلات تستخدم الكهرباء فى كنس الأرض وغسل الملابس وصنع الثلج ، ومئات من الأعمال الأخرى فى المنازل والمصانع والمزارع .

توصل المهندسون الى صنع سيارات رخيصة أكثر أمنا وسرعة وسهولة استخدام . وما لبث « الجاسولين » أن استخدم فى القيام بأعمال كثيرة كانت تؤديها الخيل طوال قرون عديدة .

وبدأ المهندسون والبناؤون يستخدمون الصلب والأسمنت فى انشاء المبانى التى تفوق فى ارتفاعها كل ما سبقها من أبنية .. مرتفعة الى درجة أن سميت « ناطحات السحاب » .

وكان الأطباء يقضون على أمراض شنيعة ، والعلماء يبينون للمزارعين طرقا لزيادة محاصيلهم وتحسين مواشيهم ، ورجال

الأعمال يستخدمون الآلات الحاسبة فتوفر الوقت والمال . وكان كل هذا يزيد ثراء على ثراء .

فلم يكن من العجب اذن أن يرى الفقراء والمساكين فى البلاد الأجنبية أن كل انسان فى أمريكا يعيش عيشة طيبة ، وأن كل انسان يستطيع أن يصبح غنيا . وهكذا تدفق الفقراء من أمم كثيرة على الولايات المتحدة ، مليونا منهم تقريبا فى كل عام .

وكان معظم هؤلاء المهاجرين يستقرون فى المدن الكبيرة . واذ كانوا جد فقراء فقد اضطروا الى العيش فى أحياء فقيرة ، حيث كانوا يزدحمون فى أبنية قذرة بائسة ، قد تعيش عائلة بأكملها فى غرفة واحدة لا نوافذ لها . ولم يكن للأطفال مكان يلعبون فيه سوى الممرات المظلمة أو الطرق والأزقة التى تنتشر فيها النفايات والقاذورات . ومرض منهم أناس كثيرون .

وكان الأمريكيون الذى يمرون بهذه الأحياء الفقيرة يرثون لهم ، ويقولون « ان هذا أمر مخجل ! » وكانوا يفعلون شيئا من أجلهم . وما لبثت البلاد جميعا أن عرفت ، عن طريق الصحف والمجلات ، بصورة الحياة التى يحياها آخر المهاجرين فى المدن الكبيرة . وتضافر الناس على مساعدتهم . كان الأطباء والممرضات والمدرسون ورجال الدين ورجال البوليس وأناس آخرون من شتى المهن والأعمال يبذلون من أجلهم الكثير من الوقت والمال .

وسنت القوانين التى تفرض على مالكى المساكن لتنظيفها

ورميمها ، وبنيت مساكن جديدة وفتحت الحدائق والملاعب للاطفال وآبائهم ، وأنشئت دور الحضانة النهارية حيث تستطيع الأمهات أن يتركن أطفالهن ويذهبن الى العمل ، وأقيمت الأبنية العامة ذات الحجرات الواسعة البهيجة حيث يمكن أن يلتقى الرجال والنساء والأطفال للدراسة واللعب ، وأتيح لآلاف من الفتيات والفتيان أن يعيشوا حياة أفضل وأسعد .

وكان الرئيس روزفلت يعمل ، فى البيت الأبيض فى واشنطن ، على أن تصبح الحياة أفضل وأسعد للناس جميعا فى الولايات المتحدة . وكان قد تبين ان كثيرين من الأمريكيين يعيشون عيشة افساد وتبديد اذ يقتلعون آلاف الأشجار دون أن يزرعوا غيرها لتحل محلها ، ويتركون مساحات كبيرة من الأرض الجافة الرملية كما هى ، بينما كان يمكن تهيئتها لزراعة المحاصيل ، ويقتلون عدة آلاف من الطيور والحيوانات البرية كل عام لمجرد المتعة والتسلية .

فقال تيودور روزفلت « يجب أن نتعلم كيف نستفيد من كل أراضينا . يجب أن نحافظ على غاباتنا ، وأن نحمى طيورنا وحيواناتنا البرية . فاذا لم نفعل ذلك فان أبناءنا الدين سيولدون بعد مائة عام سيجدون أن بلادهم الرائعة قد أفسدت وخربت » .

ثم أمر الرئيس روزفلت فبنيت الخزانات لتخزين مياه الرى التى حولت بها الصحراء الى أرض زراعية خصبة .. ثم وضع حدودا على مناطق شاسعة من الغابات لايسمح لأحد بقطع شجره

منها دون اذن كما تزرع فيها أشجار جديدة . وأنشأ خمس حدائق عامــة كبيرة تأمن فيها الحيوانات البرية والطيور غائلة بنــادق الصيد .

وما لبث كثير من الناس أن أخــذوا يقومون بزيارة هــذه الحدائق العامة الجميلة حيث يعسكرون ويتمتعون بالطبيعة . . وكانت خطوط السكك الحديدية الجيدة ، والسيارات والطرق العامة تجعل السفن الآن أمرا ممتعا . والواقع أن ملايين الأمريكيين الآن كانوا ينفقون وقتا أمتع من أى زمان مضى . وكان معظمهم منشغلا بأموره الخاصة ، بحيث لم يكن يهتم كثيرا بما يدور فى البلاد الأخرى . فأخذتهم الدهشة فى عام ١٩١٤ حين علموا بأن الحرب قد نشبت فى أوروبا .

قام جيش الماني باختراق دولة بلجيكا الصغيرة وغزا فرنسا . فأعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا مساعدة لبلجيكا وفرنسا . ولم يمض وقت طويل حتى دخلت الحرب بلاد أخــرى كثيرة بحيث سميت هذه الحرب حربا عالمية .

وكان الأمريكيون فى البداية منقسمين فى شعورهم حيال هذه الحرب وكان كثيرون من الأمريكيين المنتمين الى آباء أو أجداد من المانيا يتمنون انتصارها فى هذه الحرب . وأما معظم الآخرين فكانوا يريدون مساعدة انجلترا وفرنسا ولكن القليلين جدا من الأمريكيين هم الذين كانوا يرون ضرورة اشــتراك أمريكا فى الحرب . وظلت الولايات المتحدة ثلاثة أعوام خارج الحرب .

ثم فجأة ، وبدون انذار ، أغرقت الغواصات الألمانيـــة خمس سفن أمريكية فى شهر واحد . وتوقف الأمريكيون عن المناقشة حول الجانب الذى ينبغى أن ينضموا اليه فى هذه الحرب ، وهبوا الى العمل .

طلب الرئيس وودور ويلسون الى الكونجرس أن يعلن الحرب على ألمانيا وأخذ الرجال ينضمون سريعـــا الى الجيش وأسرعت السفن بالابحـــار الى فرنسا وانجلترا محملة بالجنود والطعـــام والذخيرة وغيرها من الامدادات . وأقرضت أمريكا مبالغ ضخمة من المال الى البلاد التى تحارب ألمانيا . وفى أمريكا نفسها كان الجميع يعملون من أجل الانتصار فى هذه الحرب .

أخذ المزارعون يزيدون من محاصيلهم ، والناس يقللون من أكلهم ، حتى يمكن ارسال الأغذية الى الجنود والشعوب الجائعة فى انجلترا وفرنسا . وتوقفت المصانع عن انتاج السلع المدنيـــة وانصرفت الى تموين الجنود . وقصر أصحاب السيارات استعمالهم لها على الضرورى لتوفير الجاسولين من أجل المدرعات والسيارات والطيرات فى أوروبا وكانت الأسر التى رحل عنها أبناء أو أزواج أو أشقاء الى أوروبا يتلهفون على الأنباء اليومية فى خوف وقلق .

ولم يقدر لآلاف من الجنود الأمريكيين المحاربين فى أوروبا أن يعودوا أبدا الى أوطانهم ، كما جرح منهم آلاف آخرون . وفى النهاية استسلمت ألمانيا فى الحادى عشر من نوفمبر عام ١٩١٨ .

وقال الشعب الأمريكى (شكرا لله لقد انتهت الحرب فلندع الله الا تنشأ أبدا ، أبدا ، ضرورة الى القتال مرة أخرى) .

وعمت الأفراح العظيمة فى جميع أنحاء البلاد احتفالا بانتهاء الحرب . وعاد الناس الى حياتهم اليومية . وكانوا قد ظلوا مدة طويلة محرومين من الحاجيات الضرورية والأشياء التى كانوا يحبون أن يحصلوا عليها فأخذ الكثيرون الآن يسعون الى الكسب والحصول على النقود ... وانفاقها .

أخذوا يشترون السيارات وأجهزة الراديو والمكانس والثلاجات الكهربائية والقوارب الآلية والجواهر والمنازل الجديدة الجميلة . وجعلوا يترددون على المسارح ودور السينما والمباريات والألعاب ، ويضعون أموالهم فى مشروعات الكسب السريع ، ولم يحدث قبلا أن تمتع الأمريكيون بمثل ما كانوا يتمتعون به الآن .

ورغم تحذيرات الرئيس « هربرت هوفر » جعل الأمريكيون ينفقون عن سعة ، ولا يوفرون سوى القليل بحيث حدث فجأة أن ولت الأيام السعيدة كما تنتهى فقاعة الصابون . وأغلقت مئات المصانع والمكاتب والمتاجر فى جميع أجزاء البلاد ، وعجز المزارعون عن بيع محاصيلهم وغرقوا فى الديون الثقيلة . ولم يجد البناءون والنجارون عملا يؤدونه .

وبمرور الأشهر فقد ملايين الأمريكيين نقودهم ومنازلهم وأعمالهم . وأخذ الجائعون من الرجال والنساء والأطفال فى المدن

الكبرى يقفون فى صفوف طويلة كل يوم ينتظرون أن يوزع عليهم الخبز والحساء المجانى.

لقد مرت فترات عصيبة على أمريكا من قبل ولكنها لم تكن أبدا بمثل هذه القسوة والشدة وظل هؤلاء البؤساء فى كل ولاية من ولايات الاتحاد يتساءلون فى لهفة متى ينتهى هذا الكساد الهائل ؟





الفصل السادس عشر

افظع حرب فى التاريخ

(الزمن ۱۹۳۳ — ۱۹٤٥)

جاء على الأمريكيين وقت انتخاب الرئيس الجديد وهم فى أشد حالات اليأس والقنوط . وانتخبوا أحد أبناء عمومة «تيودور روزفلت » وهو « فرانكلين ديلانو روزفلت » .

وكان فرانكلين روزفلت قد أصيب بشلل الأطفال منذ أحد عشر عاما ، وتركه هذا المرض مشلول الرجلين ، لا يستطيع أن يمشى دون أسناد من الجلد والمعدن . ولكنه كان قد استطاع أن يتغلب بشجاعة على ما أصابه من عجز ، ونصب حاكما على ولاية نيويورك . وبنفس الشجاعة مضى الآن يعمل على التغلب على ما أصاب بلاده من عجز .

وكان الرئيس روزفلت يؤمن ، مثل كثيرين من الأمريكيين ، بأن الحكومة الوطنية ينبغى أن تقوم بمساعدة شعبها اذا ما احتاج الى المساعدة . وأعد الأمور بحيث تقدم حكومة الولايات المتحدة مساعدتها فى أسرع وقت ممكن . وفى خلال شهور قليلة ، بدأت المصانع والمتاجر والمكاتب تفتح أبوابها من جديد ، ووجد ملايين العاطلين أعمالا وأرزاقا . وأعطت الحكومة عملا لمن لم يجده منهم .

وأخذت أحوال الأمريكيين فى التحسن ببطء . ولكن الناس فى أوروبا ، فى هذا الوقت ، كانوا يزدادون خوفا وقلقا يوما بعد

يوم . فقد كانت بلاد أوروبا تندفع اندفاعا سريعا نحو حرب أخرى .

فقد استولى على السلطة فى ألمانيا طاغية اسمه هتلر . وكان ديكتاتورا فرض طاعته على كل شخص . وكان كل من يعصاه يتعرض الي نوع أو غيره من أنواع الشقاء .

وصل هتلر الى حكم الشعب الألمانى . وكان يرسم الخطط، الآن ليحكم أوروبا كلها . وكان يقوم بالفعل بانشاء جيش جبار . وفى عام ١٩٣٩ بدأ هذا الجيش يزحف .

وأخذ الألمان يغزون بلدا صغيرا بعد آخر ، بالسيارات المصفحة وقاذفات القنابل المنقضة ، وجنود المظلات ، وجنود المشاة . وأسرعت انجلترا وفرنسا لانقاذ هذه البلاد الصغيرة وانحازت ايطاليا واليابان الى جانب ألمانيا اذ كان على رأس كل منهما حاكم ديكتاتور . واتسع نطاق الحرب فى غضون عام حتى شمل أجزاء كثيرة من العالم .

وأرسل الأمريكيون السيارات المصفحة والطائرات والمدافع والطعام وغير ذلك من الامدادات لمساعدة انجلترا وفرنسا . وأخذوا فى تقوية الجيش والبحرية والطيران حتى يكونوا على استعداد لمواجهة أى خطر . ولكن كان الأمريكيون مصممين على البقاء خارج الحرب اذا استطاعوا . وظلوا فعلا خارجها ثلاثة أعوام تقريبا . ثم أقبل يوم الأحد السابع من ديسمبر سنة ١٩٤١ .

وبدأ اليوم مثل أى يوم آخر من أيام الأحاد . وفى « هاواى » حيث كان يعيش كثير من الأمريكيين ، طلعت الشمس مبكرة على مشهد هادىء .

وعند « بيرل هاربر » قرب « هونولولو » كانت نسمة رقيقة تدفع بالأمواج الخفيفة الى الارتطام بجوانب السفن الحربية الأمريكية الراسية فى الخليج وكان هناك فى ذلك الصباح ست وتسعون سفينة حربية فى الخليج أى ما يقرب من كل أسطول المحيط الهادى .

وكان البحارة فى أماكنهم العادية على سطح السفن ، مثلما كانوا يفعلون فى كل يوم ، فى انتظار رفع العلم فى الثامنة صباحا ، بينما كان البحارة الآخرون ممن لا عمل لهم فى ذلك اليوم يتهيأون للنزول الى البر ، للذهاب الى الكنيسة أو لزيارة الأصدقاء .

وعند « هيكام فيلد » ، الذى لا يبعد كثيرا عن هذا المكان ، ربضت قاذفات القنابل الضخمة التابعة للجيش فى صفوف منظمة قرب طريق الطيران هادئة ساكنة بينما كان المطار يتحول مكانا يموج بالحركة والضجيج فى أيام الأسبوع الأخرى . وكان كل شىء هادئا فى هذا اليوم .فالأسر القاطنة قريبا من المطار تستيقظ متأخرة فى أيام الأحد ، أو تتناول فى هذه الساعة افطار يوم العطلة الأسبوعية ، أو تضع الخطط لتمضية اليوم فى النزهة الخلوية أو السباحة .

ولم يهتم أحد بذلك الصوت الذى سمع من بعيد . فغالبا ما تحلق الطائرات قرب « بيرل هاربر » . ولكن ذلك الصوت البعيد تحول بسرعة الى زئير مخيف . وفجأة أسودت السماء ممتلئة بالطائرات ، طائرات يابانية تحلق على ارتفاع منخفض ، وتلقى بقنابل الطوربيد المدمرة على السفن الأمريكية ، وطائرات أخرى تمطر المطار والمساكن القريبة بالقنابل .

« هاجمت الطائرات اليابانية بيرل هاربر ! سفننا الحربية قد غرقت أو تشتعل الآن فى النيران » .

« دمرت قاذفات القنابل الرابضة ! قتل أو جرح فى هذا العدوان المفاجىء مئات من الجنود والمدنيين . »

« هاجمت الطائرات اليابانية بيرل هاربر !! »

وظلت هذه الأنباء الفظيعة تتردد طوال اليوم فى ملايين المنازل الأمريكية عن طريق الراديو . وفى أول الأمر أصاب الناس ذهول ، ثم أخذهم الغضب الشديد ، وفى اليوم التالى مباشرة أدلى الكونجرس بصوته معلنا الحرب على اليابان . وبعد ثلاثة أيام أعلنت ألمانيا وايطاليا الحرب على الولايات المتحدة ، ووجد الأمريكيون أنفسهم داخل حرب عالمية ثانية .

وكان الأمريكيون يعرفون أنه لا بد من الانتصار فى هذه الحرب اذا كانوا يريدون أن يعيشوا أحرارا ، ذلك أن الحرية قد اختفت من كل بلد من هذه البلاد التى غزتها قوات الديكتاتوريين

وفى كل ولاية من الولايات الثمانى والأربعين كان الرجال الذين لم يستدعوا للخدمة العسكرية يهرعون لتقييد أسمائهم . وتولت آلاف النساء أعمال الرجال فى المصانع والمزارع . وأصبحت آلاف أخرى ممرضات ، أو انضممن الى القوات المسلحة لتأدية كل ألوان الأعمال من الكتابة على الآلة الى قيادة سيارات النقل ، حتى يتفرغ الرجال للقتال . وكان الأطفال يساهمون بمعاونتهم أيضا فيزرعون الحدائق ويعدون الأغذية حتى يتوفر الكثير منها للمحاربين من الأمريكيين والحلفاء .

واشترى الناس ستائر داكنة لتغطية النوافذ ، وتعلموا كيف يخفون الأنوار سريعا عن مدنهم وبلدانهم حتى لا تتبين طائرات العدو أهدافها . وكانت تدريبات الغارات الجوية تتم فى المكاتب والمصانع والمدارس . وفرض نظام البطاقات على الأغذية والجاسولين . وسريعا ما تغيرت حياة الناس كلهم فى جميع أنحاء العالم .

واستمرت الحرب فى أجزاء العالم الأخرى ، شهرا بعد شهر ، وأرسل ملايين الجنود والطيارين والبحارة الأمريكيين الى ميدان القتال خارج الولايات المتحدة .. فحاربوا فى أفريقيا ، وأوروبا ، وآسيا ، وفى الجزر النائية فى المحيط الهادى مثل جزر « ايوجيما » و « جوادالكنال » .

وفى أثناء الفترة الأولى من الحرب كانت معظم أنباء القتال التى نقلها الراديو الى الأمريكيين أنباء سيئة . وعندئذ ، انهزمت

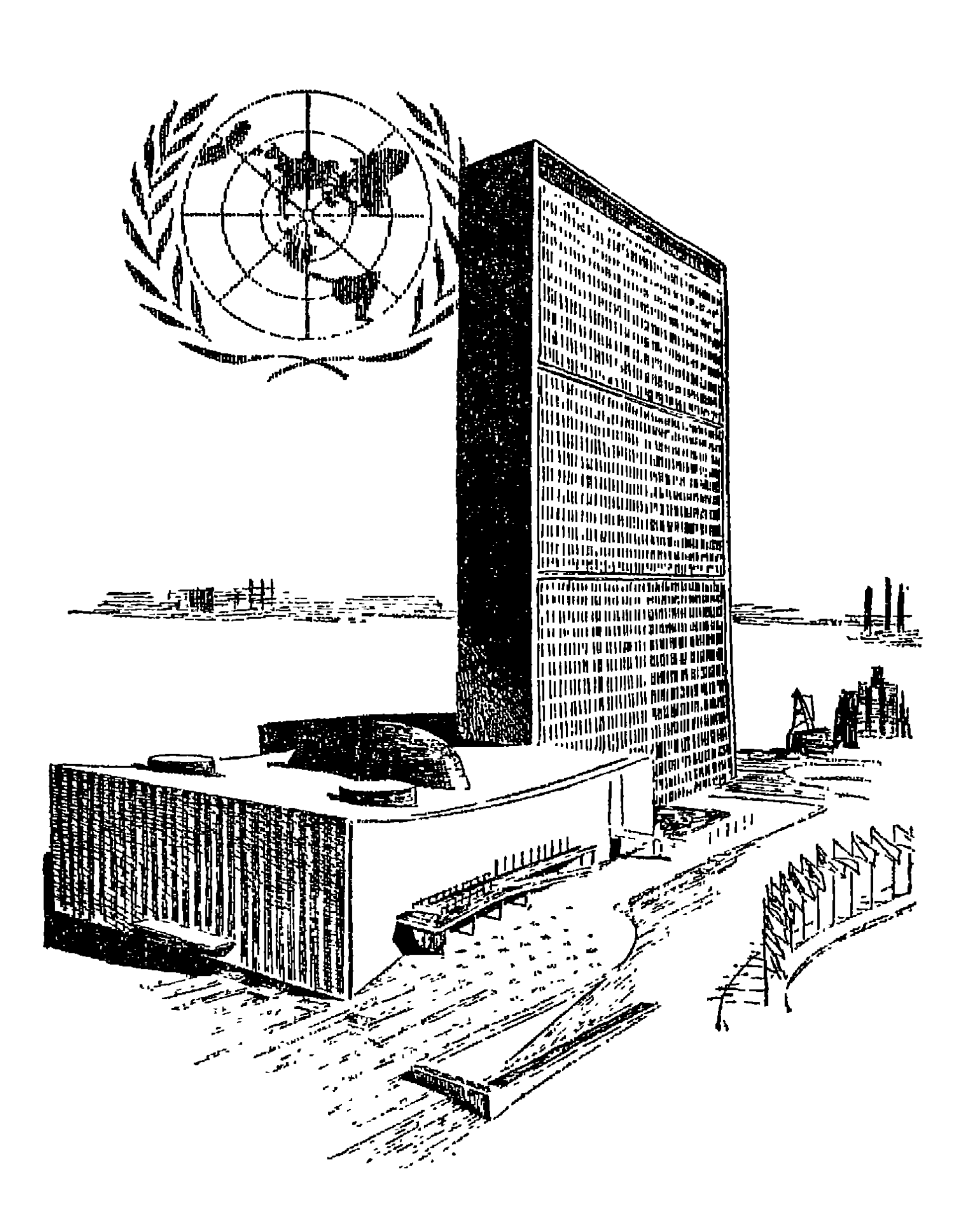
ايطاليا فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ . وبعد قتال مرير دام عامين طلبت ألمانيا الصلح . ولما جاء صيف عام ١٩٤٥ كان العدو الوحيد الذى استمر فى القتال هو اليابان .

وفى هذا الوقت كان سلاح رهيب مميت قد تم اختراعه فى الولايات المتحدة وقرر الرئيس ترومان وغيره من القادة استخدام هذا السلاح لوضع حد سريع لهذه الحرب . ولكنهم قرروا أن يعطوا اليابان انذارا وتحذيرا كافيين قبل استخدام هذا السلاح .

فبعثوا أولا برسالة الى قادة الحرب اليابانيين ، يخبرونهم فيها بأن على اليابان أن تستسلم أو تدمر .

وبعد ذلك حلقت الطائرات الأمريكية فوق ثلاث وعشرين مدينة يابانية ، وألقت عليها منشورات تنذر الأهلين لمغادرة مدنهم قبل تدميرها . وبعد ذلك ، حينما رفض اليابانيون الاصغاء لهذه التحذيرات ، حلقت قاذفة قنابل أمريكية فوق قاعدة الجيش اليابانى فى هيروشيما ، وألقت قنبلة ذرية .

ومع ذلك ظل اليابانيون يرفضون التسليم . فألقى الأمريكيون قنبلة ثانية على مدينة أخرى ، وبعد ذلك بخمسة أيام ، وفى الرابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٥ ، استسلمت اليابان . وهكذا انتهت أفظع حرب فى التاريخ . ولكن ظلت الحرية باقية فى الولايات المتحدة ، وتحررت كثير من البلاد التى غزيت فى هذه الحرب .



الفصل السابع عشر

أرض الأحرار

أجل ، عاشت الحرية من جديد . ولكن كان العــالم فى حالة بائسة . فقد أصبح معظم أوروبا خرابا وأطلالا ، وبعض المــدن فى آسيا قد خربت عن آخرها تقريبا ، وملايين الناس بلا طعــام أو مأوى .

وأمريكا هى الأخرى تحملت الشقاء ! اذ قتل أو جرح مئات الآلاف من الجنــود الأمريكيين ، وكلفت الحــزب البلاد بلايين الدولارات . ولكن البلاد لم تتعرض للغزو ، ولا ضربت المــدن والبلدان بالقنابل . والى هذا يرجع بعض السبب فى أن أصبحت الولايات المتحدة أقوى وأغنى أمة على سطح الأرض .

والأمة الغنية القوية تستطيع أن تغزو أمما أضعف منها ، أو تستطيع أن تعاونها . وكانت أمريكا دائما تسرع بمد يد المعاونة للشعوب الواقعة فى الضيق . وهنا انطلقت أمريكا تعمل ، أكثر مما عملت فى أى وقت من قبل ، على مساعدة الذين عذبتهم الحرب من الرجال والنساء والأطفال .

وغادرت السفن شــواطىء الولايات المتحدة تحمل أطنــان الأغذية والملابس والأدوية الى الشعوب المحتاجة ، بل حتى الى الذين كانوا اعداءها ، وتبعتها سفن محملة بالبذور ، والأسمدة ، والعدد ، والماشية ، والآلات الثقيلة لتستخدم فى اعادة بناء الخلجان والطرق المدمرة . كمــا أعطت وأقرضت مبالغ كبيرة من المــال

للشعوب التى كانت تعمل من أجل تحسين أحوالها وأحوال غيرها .

وفى هذا الوقت ، كان المفكرون فى الولايات المتحدة ، وفى كل بلد تقريبا ، يسألون أنفسهم نفس هذا السؤال : ماذا يمكن أن نفعل للحيلولة دون قيام حرب عالمية أخرى ؟ .

وحتى قبل أن تنتهى الحرب العالمية الثانية اجتمع فى « سان فرانسسكو » بكاليفورنيا ، زعماء خمسين أمة ، لمناقشة هذا السؤال . وقرروا أن يوحدوا قواهم ويعملوا فى جماعة واحدة أطلقوا عليها اسم « الأمم المتحدة » .

وانضمت ، منذ ذلك الوقت ، بلاد أخرى ، الى الأمم المتحدة . وتنعقد الاجتماعات فى مبنى الأمم المتحدة بمدينة نيويورك .

فاذا نشب نزاع بين بلدين فان أعضاء الأمم المتحدة يحاولون مساعدة هذين البلدين على فض النزاع دون قتال . ولم يكن الأعضاء ينجحون دائما ولكنهم لم يكفوا أبدا عن محاولة منع نشوب الحروب .

وفضلا عن التعاون مع الأمم المتحدة فان أمريكا تعمل باستمرار على معاونة جميع الأمم على العيش فى سلام . فان الأمريكيين مع استعدادهم دائما للدفاع عن الحرية فانهم يريدون أن يكونوا أصدقاء لكل الشعوب فى جميع أنحاء العالم . وكان « دوايت ايزنهاور » أمريكيا عظيما ممن حاولوا اقامة علاقات الصداقة فى جميع انحاء العالم .

وكان الجنرال ايزنهاور ، أثناء الحرب ، يقود الجيوش التى قهرت ايطاليا والمانيا وعاونت شعوب أوروبا على استعادة حريتها وبعد سبعة أعوام من الحرب انتخب رئيسا للولايات المتحدة وزار الرئيس ايزنهاور كثيرا من البلاد الأجنبية حاملا اليها رسالة الصداقة الأمريكية . وكانت تستقبله الجموع المتشوقة لسماع الرسالة التى جاء يحملها الزعيم الأمريكى الشهير .

وقال لهم انه يمثل أمة لن تحاول أبدا أن تغزو أو تحكم بلدا آخر . وقال أيضا ان الأمريكيين رغم ايمانهم بنظام حياتهم فانهم يعدون بألا يحاولوا أبدا فرض هذا النظام على الآخرين وقال ان أمريكا تريد أن تتعاون مع أى أمة تعمل من أجل السلام والحرية . واستمعت اليه الملايين من الناس فزخرت بشعور جديد من الأمل والشجاعة .

وجلس ملايين الأمريكيين فى منازلهم أمام أجهزة التليفزيون فشهدوا وجوه الناس وسمعوا أصواتهم وهم يصغون الى أيزنهاور انه لعصر رائع هذا الذى نعيش فيه فانه كما قربت الطرق البرية بين المستعمرين الأوائل فكذلك يعمل التليفزيون والراديو والطائرات السريعة على معاونة الناس فى جميع انحاء العالم ليصبحوا كلهم جيرانا طيبين .

أجل ، انه لعصر رائع فعلا ! ونحن الأمريكيين نعيش فى بلد رائع أيضا . فهنا ، فى بلادنا ، قد ثبت أن أناسا من أمم مختلفة

يستطيعون أن يعيشوا معا فى سلام تحت علم واحد . هنا يستطيع أن يأتى هؤلاء الذين فقدوا حريتهم فى بلادهم فيجدون حريتهم وهنا يستطيع أفقر فتى وفتاة أن يحصل على تعليم طيب وأن يجد فرصة لكى يصبح زعيما وطنيا .

وليس كل شىء فى أمريكا مثلا فى الكمال ،ولكننا نحن الأمريكيين لن نكف ابدا عن محاولة اصلاح الأخطاء . وبلادنا مازالت تنمو كما ينمو الانسان السليم .. لا ينمو جسما وبنيانا فحسب ، وانما ينمو عقلا وقلبا . وكل أمريكى يستطيع أن يعاون فى هذه التنمية سواء كان يقطن ولاية من الولايات الثمانى والأربعين القديمة ، أو فى واحدة من ولايتى « آلاسكا » ، « هاواى » ، الجديدتين .

وأنت أيها الأمريكى حين تحيى علمك ذا النجوم والشرائط تذكر هؤلاء الذين قاموا ببناء هذه الجمهورية التى يخفق فوقها ، وأعقد العزم على أن تكون مثلهم ، وأن تؤدى نصيبك من العمل ، لكى تظل بلادنا كما نسميها الآن فخورين : « أرض الأحرار وموطن الشجعان » .

فهرس

صفحة

الفصل الأول :
كلمة سحرية ٥
الفصل الثانى :
بداية جريئة ١٣
الفصل الثالث :
انجلترا جديدة فى العالم الجديد ١٩
الفصل الرابع :
ثم أصبح هناك ثلاثة عشر ٢٧
الفصل الخامس :
أنباء سيئة من وراء الجبال ٣٣
الفصل السادس :
متاعب مع الفرنسيين ٤١
الفصل السابع :
« اذا كانوا يريدون حربا . . . » ٤٩
الفصل الثامن :
واخيرا أحرار ٥٩
الفصل التاسع :
أوه ، هل تستطيع أن ترى ؟ ٦٩
الفصل العاشر :
فترة كبيرة حافلة بالتغيرات ٧٩
الفصل الحادى عشر :
أسرع !! أسرع !! ٨٧
الفصل الثانى عشر :
أيام قائمة للولايات المتحدة ٩٧
الفصل الثالث عشر :
أمة واحدة لا تتجزأ ١٠٥
الفصل الرابع عشر :
هنود حمر ، ورعاة بقر ، وسيارات ١١٥
الفصل الخامس عشر :
أعوام طيبة وأخرى سيئة ١٢٥
الفصل السادس عشر :
افظع حرب فى التاريخ ١٣٥
الفصل السابع عشر :
أرض الأحرار ١٤٣